

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مؤسسة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء السادس	٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢	المجلد الرابع عشر
--------------	--------------------------	-------------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فوزي بخاري

الإدارة	الاشتراكات عمه سنه
ميدان الأزهر	داخل القطر ٢٠٠
تليفون : ٨٤٣٣٢	لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠
الرسائل تكون باسم مدير المجلة	خارج القطر ٣٠٠

نمن الجزء الواحد ٢٠ مليا داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر - ١٩٤٣)

فهرس

الجزء السادس - المجلد الرابع عشر

صفحة		
٢٤٥	بقلم	السيرة المحمدية - غزوة حنين ...
٢٥٠	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	تفسير سورة العاديات ...
٢٥٣	طه الساكت	السنة - من حسن إسلام المرء ...
٢٥٧	حضرة الأستاذ الدكتور محمد غلاب	{ الفلسفة الإسلامية في الشرق ... جماعة إخوان الصفاء ...
٢٦١	فضيلة الأستاذ محمد يوسف موسى	الفلسفة في الشرق - مصر ...
٢٦٥	الإدارة العامة للمعاهد الدينية	إعلان مسابقة للتدريس في الأزهر
٢٦٦	فضيلة الأستاذ الشيخ صافق عرجون	عثمان بن عفان ...
٢٧٠	لجنة الفتوى	ليلة النصف من شعبان ...
٢٧٣	» » »	الصلاة في مسجد بناء مسيحي ...
٢٧٤	فضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المرافى	كلمة تاريخية عن المكتبة الأزهرية
٢٧٨	حضرة الأستاذ على سامى النشار	تطور العدالة ...
٢٨١	فضيلة الأستاذ عبد السلام مراحان	قدامة بن جعفر ...
٢٨٥	محمد فتح الله الشيخ	تمجيد النسل ...
٢٨٧	احمد موسى	محمود سامى البارودى ...
٢٩٠	حضرة الأستاذ مدير المجلة	استخراج الحساسية الانسانية ...
٢٩٣	حسن جاد حسن	نقد الذئر ...
٢٩٧	» » »	تقريظ ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 السِّيَرَةُ الْمَكِّيَّةُ
 تحت ضوء العلم والفلسفة

المعركة الفاصلة بين الوثنية والاسلام في بوادى العرب

غزوة حنين

قال الله تعالى : « لقد نصركم الله في موطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ، والله غفور رحيم » .

غزوة حنين كانت بين بنى هوازن وبنى ثقيف مجتمعين ، وبين المسلمين ؛ وحنين اسم موضع في طريق الطائف ؛ وقبل إن حنيننا اسم لما بين مكة والطائف ، وقد سميت هذه المعركة أيضا بوقعة أوطاس ، وهو الموضع الذي وقعت به . وهوازن قبيلة كبيرة ذات بطون كثيرة كانت نازلة بين الطائف ومكة .

سبب هذه الغزوة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ، ودانت له قريش ، خشيت هوازن وثقيف أن يغزوها ويدخلها في طاعته ، فاجتمع قادة القبيلتين وتشاوروا في الأمر ، واتفقوا على قتاله ، وقال قائل منهم : « والله مالاقي محمدا قوم يحسنون القتال ، فأجمعوا أمرهم ، وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم » . وكان قائد هوازن مالك بن عوف ، وقائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل ، وانضمت إليهما جوع غفيرة من قبائل شتى حتى بلغ مجموعهم ثلاثين ألف مقاتل ، أجمعوا على إعطاء القيادة لمالك بن عوف ، واشتروطوا عليه أن يستشير دريد بن الصمة ، وهو أعلام رأيا ، وأعرفهم بالحرب ، ولكنه كان قد أسن حتى بلغ العشرين بعد المائة ، وقيل أكثر من ذلك ، وكانت سن مالك بن عوف ثلاثين سنة . فسمع دريد رغاء الأبل ، وخوار البقر ، وبكاء الصغار ، فقال : مالي أصمغ رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعمار الشاء ، وخوار البقر ؟ فأجابوه : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال أين هو ؟ فخر بين يديه فقال له : يا مالك إنك تقاتل رجلا قد أوطأ العرب ، وخافته العجم ، وأجلى يهود . فقال مالك

لا نخالفك في أمر تراه . فقال دريد : مالي أسمع هذه الضوضاء ؟ قال مالك : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ليكون خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم . فقال دريد : هل يرد المنهزم شيء ؟ فإن كانت لك فذاك ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . فآبى مالك أن يطيعه ، وغضب دريد واعتزل الحرب .

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خروج هذه الجوع اليه ، نبذ إليهم على سواء ، وكان ذلك يوم السبت السادس من شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة ، في جيش عدته اثنا عشر ألفاً ، عشرة آلاف منهم كانوا جاءوا معه لفتح مكة ، وألفان من الذين أسلموا من قريش بعد الفتح ، وخرج معهم نساء كثيرات طماعية في المغنم . ومما يجب لفت النظر إليه خروج ثمانين من المشركين لشد أزر المسلمين ، منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ، وكان ذلك منهم كراهية أن يتغلب الأعراب على قريش ، (١) وفي الأعراب جفوة وغشمرة ليست للعرب (٢) .

عباً رسول الله جنوده فأعطى قيادة المهاجرين لعلي بن أبي طالب ، وقيادة بني الأوس لاسيد بن حضير ، وقيادة الخزرج للحباب بن المنذر ، والأوس والخزرج أهل المدينة ويطلق عليهم الأنصار .

ولبس عليه الصلاة والسلام درعين وبيضة ومغفراً (٣) .

لما سار الجيش ورأى المسلمون كثرتهم ، تداخلهم شيء من الزهو ، فقال رجال منهم : لن نهزم اليوم من قلة .

لما تمت تعبئة الجيش انحدر النبي بجنوده في الوادي عند غبش الصبح ، وكان رجال من هوازن قد كنوا له في بعض شعاب ذلك الوادي ومضايقه ، فلما حمل المسلمون على جيش العدو لم يلبثوا أن انهزموا ، قال البراء بن عازب فأكبنا على الغنائم ، فخرج علينا من كانوا كامنين في الشعاب والمضايق واستقبلونا بالسهم ، فولينا مدبرين لا يلوي أحد منا على أحد .

وقد بلغ بعض المنهزمين في تقهقرهم مكة ، وأخبروا أهلها ففرحوا ، وكانوا لا يزالون على شركهم ، فكان ذلك مدعاة لظهور ما أكنه الناس في قلوبهم ؛ فقال بعضهم انتهى أمر الإسلام وغدا يرجع العرب إلى دينهم الأول ، فإن هذه الهزيمة لا تقف دون البحر . وقال هشام بن كلفة وكان أخا لصفوان ابن أمية لأمه : بطل سحر محمد ، فقال له أخوه صفوان ولم يكن قد أسلم بعد : أسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يرثني (أي يملككني) رجل من قريش أحب إلى من أن يرثني رجل من هوازن . وصر بصفوان هذا رجل فقال له أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله

(١) تطلق كلمة (عرب) على سكان الأمصار ، وكلمة (الأعراب) على سكان البوادي .

(٢) الجفوة الغلظ ، والغشمرة الظلم والكبر . (٣) ما يقى الرأس والعنق من الحديد والزررد .

لا يجبرونها أبداً ، فغضب صفوان وقال : « أتبدشرنى بظهور الأعراب ؟ فوالله لرب من قریش (أى ملك من قریش) أحب الى من رجل من الأعراب » .

أما المسلمون الصحيحو الاسلام منهم ، فثبثوا منتظرين ما يحدث بعد هذه الهزيمة ، معتقدين أن هزيمة محمد ليس معناها زوال دين الله من الأرض ، فإن الله لا شك مظهره على الدين كله ، كما وعد بذلك ولو كره الكافرون . وهذا رأى يترأى فى رد عكرمة بن أبى جهل على من قال : والله لا يجبرونها أبداً ، فانه قال له : « ليس هذا لك ولا بيدك ، الأمر بيد الله ، ليس الى محمد منه شيء ، إن ديل عليه اليوم (أى إن كانت الكرة عليه اليوم) ، فان له العاقبة غدا » .

ماذا كان من أمر رسول الله حيال هذه الهزيمة ؟

انهزم جيش المسلمين ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ورجاله من أركان حربه وعددهم ثلاثمائة وقيل ثمانون ، وقيل بل عشرة ، لم ينهزموا ، وبقي عليه السلام على بغلته يدفعها نحو جموع الأعداء ، ويكفها عن المضى بمض أصحابه خوفاً عليه من الردى . فعن ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله يوم حنين فولى الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلاً ، فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة (كما ورد فى الآية) ورسول الله على بغلته ، وكان العباس عمه آخذاً بلجامها يكفها أن تتقدم فى نحر العدو ، والثمانون منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد وربيعه بن الحارث ابن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب وأيمن بن أم أيمن وغيرهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى تلك الحالة ، والناس يولون الأدبار حواليه سراعا لا يلوون على شيء ، يناديهم قائلاً : إلى أيها الناس ، فلم يجد سميعاً . فقال لعنه العباس وكان جهورى الصوت : صبح بالناس قائلاً يا معشر الانصار ، يا أصحاب السمرة (أى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان) ، يا المهاجرين الذين بايعوا النبي تحت الشجرة ، فما طرقت هذه الصيحات أذنى واحد منهم حتى سارع إليه قائلاً : لبيك لبيك ، وسيوفهم مصلنة فى أيديهم تلمع كالشهب ، فأمر رسول الله أن يصدقوا الحملة على المشركين ، فأجابوه واندفعوا على المشركين كالسيل العرم ، وما هى إلا ساعة حتى ولى المشركون الأدبار ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فما أمسى المساء حتى طار الخبر الى مكة بأن النبي انتصر على أعدائه ، ففرح بذلك المؤمنون ، وحزن المشركون .

ولما كله بعضهم فى معاقبة الفارين أجاب : بأن الله قد كفى وأحسن ، كما قال تعالى فى أمر هذه الواقعة : « وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم » .

ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجمع النساء والأطفال الذين تركهم أزواجهم وآبائهم

وفروا طالبين النجاة ، والاستيلاء على ما تركه العدو من سائمته وأمواله ، وقد أحصيت قبلت أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة . أما المشركون فنفرقوا ثلاث فرق ، لحقت إحداها بالطائف ، ولأدت الثانية بنخلة ، وعسكرت ثالثها بأوطاس (وهو واد بديار بنى هوازن) .

كان أكبر أثر لهذا الانتصار العظيم سحق السكرة الاستقلالية الأعرابية سحقاً تاماً ، فإن القبائل التي كانت ضاربة في وديان بلاد العرب وشعابها ، كانت تعتبر نفسها مستقلة كل الاستقلال عن جاراتها ، ولذلك كانت في خصام مستمر موروث لا تهدأ له نار ، ولا ينقطع لها أوار (١) ، فلما رأت بقية القبائل ما حل بهوازن وهي من أكبر قبائل العرب ، وأعزها مكاناً ، اضطرت أن تقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستسلمة ، قابلة أن تخضع لحكم الإسلام وما يفرضه عليها من التكاليف والتبعات ، كأعضاء أمة واحدة ، متكافلة الأجزاء ، متكاملة الأبعاض ، لتؤدي للمجموع البشري من الخدم الاجتماعية ما يجب على كل جزء منه أدائه ، جهادا وراء وصول الإنسانية إلى ما قدر لها من وجود كريم ، يناسب ما منحتها من المواهب النفسية والعقلية .

هذه الحركة الاجتماعية التكافلية من القبائل العربية لم تحصل في أي عهد من عهود الأمة العربية . فإن ما يرويه الراوون من مدنية بعض قبائلها كهاد ونمود وغيرها ، كانت حركات قبيلية محضة ، مقتصرة على أصحابها ، ولم تعتمد سواها ، فلم تقم للاجتماع العربي شخصية أدبية عامة إلا بواسطة الإسلام الذي بُعث به مجد على فترة من الرسل ليكون ديناً تاماً ، ورباطاً أدبياً شاملاً للعالم كله .

أما الهزيمة التي ألمت بالمسلمين في هذه الواقعة فقد علمها الكتاب الكريم بتلك الحركة النفسية ، وهي الإعجاب بالكثرة ، عدولا منهم عن السبب الصحيح في بناء وجودهم ، وهو التأييد الإلهي لا الأسباب العادية ، فاستحقوا على ذلك ، تجريدا لايمانهم من شوائب الخلط بين العمل الإلهي المعجز ، والعمل الإنساني الممكن : أن يوتكوا لأنفسهم ، فانهزموا على كثرتهم ، «لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم» .

نعم إن الإسلام أصر بالأخذ بالوسائل العادية ، للنجاح في المطالب الحيوية ، ولكنه أراد أن ينبه حماة الإسلام لآخر مرة ، أن هذه الوسائل العادية ليست هي السبب في وجودهم الاجتماعي ، ولا في نجاحهم في إقامة الصرح الإسلامي ، فإن هذا العمل الضخم الذي لا منيل له في جميع أدوار التاريخ البشري ، لا يعقل أن يتم بالوسائل العادية ، فلم تجر العادة بأن فردا واحدا يقوم في أمة وثنية ، مزقت أو صالها الحياة القبلية ، وتغلغلت في أحشائها العادات الجاهلية ،

(١) الأوار بضم الالف هو الدخان أو الاله .

فينجح في دعوتها الى حياة اجتماعية تكافلية طالية ، تعتبر أرفع من كل ما وصل إليه البشر ، وذلك على الرغم مما جبلت عليه من العقائد والعادات والتقاليد قرونا متوالية ويجعل منها فوق ذلك أمة مثالية ، تحمل علم المثل العليا في كل ضرب من ضروب المقومات الأدبية والمادية للنوع الانساني ، ويحدث بسببها في العالم كله حركة إصلاح لا تزال مستمرة الى اليوم ، ولن تزال كذلك حتى يبلغ العالم الشأو الذي أعده الخالق لبلوغه .

على أن الذي يتدبر في انتصار المسلمين في وقعة حنين بعد تلك الهزيمة المنكرة ، يدهش كل الدهش من حدوثها على غير السنن الطبيعية . فان تصدع جيش يرمته ، مؤلف من عناصر غير متجانسة ، وإركانه الى الفرار من وجه العدو ، حتى بلغت قائمته المدينة التي خرج منها ، وانكشف جرعهم عن قائدهم الأعلى حتى صار ، وهو ممتط ظهر بغلة ليست من مطايا الكر والفر ، على مرمى سهم من العدو الذي ثمل بخمرة النصر ، وحيت نفسه على البطش بخصمه ، قلنا إن الذي يتدبر كل هذا ويقدره قدره تحت ضوء السنن الحربية ، يرى أن كرة من طائفة أو طوائف محدودة العدد ، كالتى عناها العباس في صيحاته ، لا تكفى للتغلب على عشرات ألوف من المقاتلة ذاقوا باكورة النصر ، ووراءهم نساؤهم وأولادهم يطالبونهم بالحماية ، وكل ما يملكونه من حاجات العيش يهددم ضياعه بفاقة ليس وراءها فاقة .

هذا كله لا يعقل إلا بتأييد إلهي ، وهو الذي عناه الكتاب بقوله تعالى : « وأزل جنودا لم تروها » ، هذه الجنود ملائكة أى أرواح عالية نفثت في روعهم فضائل الثبات والاستبسال والتضحية . وما حدا الكتاب للتنويه بهذه الجنود إلا لما حدث من هذا الانقلاب المدهش ، فلو كان الأمر قد جرى على مقتضى السنن المعروفة ، لما كان من حاجة الى ذكر إرسال هذه الجنود ، بل لكان ذكرها مشككا للذين نزلت اليهم ، فان ذكر الأهواز في مواطن الأمور الممكنة يؤدى الى عكس ما يراد منه .

وهناك أمر جدير بالنظر وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ممنطيا صهوة بغلة ، وهى لم تسعف ركبها بالمرعة التى تقتضيها الحال إذا جد الجد فى ساحات الوغى ، وأعجب من هذا ثباته وهوى فى وجه العدو ، بل محاولته الهجوم على جيش لجب لم يمن المسلمون بمثل كثرة عدده منذ عهدهم بالاسلام . هذا كله فوق قدرة البشر ، ولا يمكن تحليله إلا بثقته المطلقة فى حفظ الله له كما وعده بذلك فى قوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » وقوله : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » . وهذا أيضا يضاف الى أعلام نبوته وهى كثيرة تخرج عن الحصر ؟

محمد فريد وهبى

النفسية

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : « والعاديات ضبحاً ، فالْمُورِيَّاتِ قَدْحاً ، فالْمَغِيرَاتِ ضَبْحاً ، فائْتَرْنَ بِهِ نَقْعاً ، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفُودٌ ، وإِنَّ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وإِنَّهُ لَكَبُ الْحَبْرِ لَشَدِيدٌ ، أَفَلَا يَتَذَكَّرُ إِذَا أُنْفِثَتْ فِي الْقُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ » .

أقسم الله تعالى بهذا القسم البديع على أن الإنسان كفور غير شكور ، فقال : « والعاديات ضبحاً ، أى الخيل التى تعدو فى الجهاد فتصبح ضبحاً . فقوله ضبحاً مفعول مطلق لفعل محذوف ، أو هو حال مؤول باسم الفاعل ، أى والعاديات ضابحة الخ . والضبح هو أصواتها عند عدوها . ومن بدائع القرآن ترغيب الناس فى الجهاد بتعظيم كل شئ يمت إليه بصلة حتى الخيل التى تستعمل فيه . وإذا كانت تلك المنزلة من التعظيم للخيال فما بالك بفضل المجاهدين . ولا عجب فقد قارنا بين طريق القرآن فى البرهنة وطريق العلماء فى أدلة التوحيد ، وذكرنا ما بينهما من الفرق ؛ فالقرآن يعتمد الى ما هو المعروف المحسوس بطريقة تأخذ بالقلوب فيقول مثلاً « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » ويقول : « أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون » . ويقول فى الاستدلال على البعث حين قال المنكر « من يحيى العظام وهى رميم : قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » على حين أن العلماء يسلكون فى أمثال ذلك تلك الطرق المتوعدة التى لا تخفى عليك . وقد قال ابن سينا فى برهان البعث الذى ذكره القرآن : كنت أشتى أن يراه أرسططاليس . أى ليعرف الفرق بين أدلة القرآن وأدلة الفلاسفة ، فسبحانه من حكيم عليم . اللهم إنا نسألك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء حزنا ، وذهاب غمنا ، وأن تجيرنا من الفتن المضلة ما ظهر منها وما بطن ، بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

ثم قال تعالى « فالْمُورِيَّاتِ قَدْحاً » : الإبراء : إخراج النار . والقدهح : الصك . يقال قدح

فأورى . أى فالتى تورى النار من حوافرها عند قدحها الأحجار فى جريها . وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا .

« فالمغبرات » : أسند الاغارة التى هى مباغثة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر الى الخيل لا الى أهلها إذانا بأنها العمدة فى إغارتهم . « صبحا » أى فى وقت الصبح ، وهو المعتاد فى الغارات ، فانهم يمدون ليلا لثلا يشمر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون .

أما قوله تعالى : « فأثرن به » فهو عطف على اسم الفاعل المتقدم . وقد قال ابن مالك : « واعطف على اسم شبه فعل فملا » . وإن شئت فقل عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل ، إذ المعنى : واللاتى عدون فأورىن فأغرن فأثرن ، أى فهيجن بذلك الوقت « نفعا » أى غبارا . وتخصيص إثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل . وقيل النقع : الصياح والجلبة . وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الاظهار .

« فوسطن به » أى توسطن بذلك الوقت . ويصح أن يكون الضمير راجعا للنقع ، أى توسطن ملتبسات بالنقع « جمعا » من جرع الأعداء . والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبله ، فأن توسط الجمع مترتب على الأثارة ، المترتبة على الاغارة ، المترتبة على الإبراء ، المترتب على العدو .

وقوله تعالى « إن الانسان لربه لكنود » أى لكنود ، مأخوذ من كند النعمة كنودا ، وهو جواب القسم . والمراد بالانسان بعض أفرادها ؛ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهرا ، فقال المنافقون : إنهم قتلوا ، فتزلت السورة إخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها ، وبشارة له بأغارتها ، ونعيا على المرجفين فى حقهم مالم فيه من الكنود : ولك أن تقول . فيه إشارة الى أن الانسان كنود بطبعه مالم يهذهبه الدين والعلم : « قتل الانسان ما أ كفره » .

هذا ، وفى تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراءة مالا يزيد عليه ، كأنه قيل : وخيل الغزاة التى فعلت كذا وكذا وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا إنهم لمبالغون فى السكفران .

« وإنه على ذلك » أى وإن الانسان على كنوده « لشهيد » يشهد على نفسه بالكنود بلسان حاله لظهور أثره عليه .

« وإنه لحب الخير » أى المال ، كما فى قوله تعالى « إن ترك خيرا » « لشديد » أى قوى

مطبق مجد في طلبه وتحصيله متهاك عليه . يقال : هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطبقا له . وقيل الشديد البخيل ، أى إنه لأجل حب المال وثقل إتفاقه عليه لبخيل ممسك ، فاللام إذن للتعليل . ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكشود ، للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من النفاق يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا .

وقوله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور » الخ : تهديد ووعيد . والهمزة للانكار ، والفاء للمطف على مقدر يقتضيه المقام ، أى يتبادى فى جهله فلا يعلم حاله إذا بعثر من القبور من الموتى . وإيراد « ما » لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء .

« وحصل » أى جمع محصلا ، أو ميز خيره من شره « ما فى الصدور » من الأسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الأعمال الجليلة .

« إن ربهم » أى المبعوثين ، كفى عنهم بعد الأحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك « بما » التى لغير العقلاء بناء على تفاوت ما بين الحالين ، « بهم » بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها « يومئذ » يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور « تخبير » أى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء الحق متصلا به ، كما ينبى عنه تقييده بذلك اليوم ، وإلا فطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون ، ولا اختصاص له بذلك اليوم . وقوله تعالى « بهم » وبومئذ « متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل . والله أعلم ما

يوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء

من كلمات معاوية

حفظت كلمات لمعاوية بن أبى سفيان الذى تولى الخلافة بالشام بعد مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فما ينسب إليه منها قوله :
المروءة احتمال الجربة ، وإصلاح أمر المشيرة . والنبل الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة .

ومنه أيضا : ما رأيت تبذيرا قط إلا والى جنبه حق مضيع .

نقول : هذا كلام قيم ، فإن التبذير أقل ما فيه إضاعة حق الأهل والمشيرة . لأن المقل لا يجد ما ينفقه ، بله ما يتصدق به ، فيضيع بذلك حقوقا كثيرة .

مطبق مجد في طلبه وتحصيله متهاك عليه . يقال : هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطبقا له . وقيل الشديد البخل ، أى إنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخل ممسك ، فاللام إذن للتعليل . ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكسود ، للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من النفاق يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا .

وقوله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور » الخ : تهديد ووعيد . والهمزة للإنكار ، والفاء للمطف على مقدر يقتضيه المقام ، أى يتبادى فى جهله فلا يعلم حاله إذا بعثر من القبور من الموتى . وإيراد « ما » لكونهم إذ ذاك بمنزل من رتبة العقلاء .

« وحصل » أى جمع محصلا ، أو ميز خيره من شره « ما فى الصدور » من الأسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الأعمال الجليلة .

« إن ربهم » أى المبعوثين ، كنى عنهم بعد الأحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك « بما » التى لغير العقلاء بناء على تفاوت ما بين الحالين ، « بهم » بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها « يومئذ » يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور « تخبير » أى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء الحق متصلا به ، كما ينبى عنه تقييده بذلك اليوم ، وإلا فطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون ، ولا اختصاص له بذلك اليوم . وقوله تعالى « بهم » وبومئذ « متعلقان بتخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل . والله أعلم ؟

يوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء

من كلمات معاوية

حفظت كلمات لمعاوية بن أبى سفيان الذى تولى الخلافة بالشام بعد مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فما ينسب إليه منها قوله :
المروءة احتمال الجريرة ، وإصلاح أمر العشيرة . والنبل الحلم عند الغضب ، والنفوذ عند المقدرة .

ومنه أيضا : ما رأيت تبذيرا قط إلا والى جنبه حق مضيع .

نقول : هذا كلام قيم ، فإن التبذير أقل ما فيه إضاعة حق الأهل والمشيرة . لأن المقل لا يجد ما ينفعه ، بل ما يتصدق به ، فيضيع بذلك حقوقا كثيرة .

السنة

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ^(١) »

أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً ، ومن جوامع كلمه ولوا مع حكمه هذا الحديث الذي نحن بصدده ، والذي نحاول بمون الله أن نكشف الغطاء عن بعض ما يمكن من دقائق وأسرار . ولنبدأ بكلمات في إسلام المرء ، وحسن إسلامه ، وما يعنيه ، وما لا يعنيه ، فأنها المنفذ الى مكشورات الحديث .

أما إسلام المرء ، فهو انقياده لشرع الله الذي شرع لعباده وتعبدهم به ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والوقوف عند حدوده وآدابه .

وأما حسن إسلام المرء ، فهو قيامه على هذا الشرع ، وتقبله له بحميل الرماية ، فيما أمر ونهى ، وأحب وكره . وتختلف مراتب الحسن باختلاف هذه الرماية ، فعلى قدر اثماره وانتهائه يكون إسلامه ، كما أنه بحسب إخلاصه وبقينه يكون إيمانه . وتبعاً لهذا تختلف المسجون قوة وضعفاً ، وحقيقة وزعماً ، حتى سما بعضهم عن الملائكة الكرام ، وسفل بعضهم عن بهيمة الأنعام ، « والذين اهتدوا زادهم هدى وآثام تقواهم » .

وأما الذي يعنى المرء فهو كل ما يهيم في دينه ودنياه ، وآخرته وأولاه ، من علم نافع ، وحمل صالح ، وسمى حميد إلى غرض مجيد .

يعنى المرء في حياته أن يقبل على نفسه فيهنها ويستكمل فضائلها ، وعلى عمله فيحسنه ويتقنه غير وكل ولا كسل ، وعلى حقوق الله وحقوق عباده فيؤديها كاملة غير منقوصة .

ويعنى المرء في حياته أن يحسن إلى أهله وعشيرته ، بتعليمهم وإرشادهم ، وتقويمهم وإصلاحهم ؛ فانه راع لهم والله سائله عما استرماه ؛ وأن يحسن الى أمته وبلاده فلا يدخر وسعاً في رفعتها وإعلاء شأنها ، ولا يألو جهداً في ابتغاء الخير لها ، فانه عضو منها ولبنة في بنائها ، وإذا شمل عضو تداعت له سائر الأعضاء ، وإذا سقطت لبنة أوشك أن يتصدع البناء .

(١) رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة .

ويدخل فيما يعنى المرء ما يروح النفس ويحجم القلب من غناء العمل وهموم الحياة ، على ألا يجافى المروءة ، أو يجاوز حد الأدب . وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وقد ضحك حتى بدت نواجذه (١) وإن كان جل ضحكه التبسم . ويؤثر عن علي رضي الله عنه : أجمتوا هذه القلوب والمتمسوا لها ظرف الحكمة ، فأنها تمل كما تمل الأبدان . والنفس — كما قال صاحب العقد — مؤثرة الهوى ، آخذة الهوينى ، جاذبة الى اللهو ، أمارة بالسوء ، مستوطنة للعجز ، طالبة الراحة ، نافرة عن العمل ، فإن أكرهتها أنضيتها (٢) وإن أهملتها أرديتها .

ولا ريب أن الناس مختلفون فيما يعنيههم اختلافهم في النزعات والميول بما أودع الله كلا من عدة ، وما وهب لكل من هبة . وجماع القول فيما يعنى المرء هو ما ينفعه في حاله وماله وطايل أمره وآجله . وكل ميسر لما خلق له .

وإذا عرف كل امرئ ما يعنيه ، سهل عليه أن يعرف مالا يعنيه ، وبضدها تتميز الأشياء . فإذا لم يكن بد من قول جامع لما لا يعنى المرء ، فهو كل ما لا يهمه في دينه ودنياه ، وحاله ومستقبله ، من لغو القول ، وعبت الفعل ، وتبذير الفضول .

وفضول الناس لا تقف عند حد ، ولا يستطيع البتة حصرها في عدد ؛ لأنها فنون متشعبة وضروب منكثرة ، وألوان مترجعة بين لغو المباحات ، وكبائر المنكرات . وقصارى ما يمكن إنما هو سياقة أمثلة لها تكون نموذجاً لما وراءها .

فإنها سؤال بعضهم بعضاً من أين أقبلت ؟ وإلى أين تذهب ؟ وكيف عيش فلان ؟ وما مرتبه ؟ وماذا يملك ، إلى غير ذلك من أسئلة وبحوث يضيق بها المستول ذرماً ، إن كذب أثم ، وإن صدق حرج ؛ وربما كشف عورة أو أذاع سرا ؛ ولا يجنى السائل من ورأها إلا ضعفاً في دينه ، ونقصاً في خلقه ، وغمطاً في مروءته . وخير جواب لهذا السفية هو السكوت والاعراض ، أو التذكير بمثل هذا الحديث ؛ ولا بأس برد سؤاله عليه ، أو مفاجاته بما لا يرتقب ، قصد تنبيهه على أن سؤاله هذا من سقطة المتاع .

ومنها تعاطى بعضهم مالا يحسن ، وتكلفه مالا يستطيع ، وإتفاقه العمر — وهو رأس ماله — فجاً لا يعود عليه وعلى أمتة إلا بالويل والشقاء . وكم في النوادي والمجتمعات ، والبيوت والطرقات ، من ساسة يرسمون خطط الحرب ، ويتطوعون بالحكم على بعض الدول دون بعض وهم أعجز الناس عن سياسة أنفسهم وبيوتهم ؛ ومن مصلحين يملثون الدنيا صياحاً وعويلاً وهم أجهل الناس بمبادئ الإصلاح وأسسها ، وأحوج الناس الى تقويم أودمهم ، وإصلاح شئونهم ؛ ومن مفتين جاهلين يفتون بغير علم ، فيضلون ويضلون ، ويفسدون في الأرض ولا يصلحون ،

(١) أواخر الأضراس ، انظر النهاية ، (٢) أهزاتها .

إلى ملوائف لا لطيل بذكرها ، فهم — وبالإساف — سواد هذا المجتمع المسكين ! ولا علاج لهؤلاء — إن يشأ الله — إلا أن يذهبهم ويأتى بخلق جديد .

ولا يدخل فى هذا الباب أمر المرء بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وتطوعه للخير ؛ فإن هذه وما إليها من معالى الأمور ، وقواعد الإصلاح ، ومهمات الدين . كيف لا وقد نرى الله الخير عن كثير من نجوى الناس وكلامهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ؟ وهذا أبو بكر رضى الله عنه يصعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحمد الله ويثنى عليه ثم يقول : « يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده (١) » .

ذلك ، وواضح أنه إذا كان من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، كان — ولا محالة — من حسن إسلامه كذلك اشتغاله بما يعنيه . ومن كان له عقل يمنعه أن يشتغل بما لا يفيد تخليق بمثله أن يشتغل بما يفيد . وإنما أثر النبي صلى الله عليه وسلم ناحية الترك على ناحية الفعل ؛ لأن التروك على كثرتها لا تكلف الناس شيئاً فهم فيها سواء ، وما عليهم — إن أرادوا الخير لأنفسهم — إلا أن يحافوها ويسكتوا عنها ولا يصيخوا لدواعي الهوى وزغات الشهوات ؛ أما الأفعال — وهى محدودة أو تكاد — فهى تحصيل وإنشاء ، وليس كل الناس قادراً على البناء ، ثم إن حياة القادرين — بئله العاجزين — لا تتسع مهما امتدت لكل الواجبات ، فضلاً عن سائر المهمات ، ولذلك قامت النيات عند العجز مقام الأعمال .

من أجل ذلك كانت عنايته صلوات الله وسلامه عليه بالتروك أشد ، وتحذيره من المناهى أغلب ، ومن أجل ذلك قال : « ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » (٢) وإذا فلا عذر لمن قارف شيئاً مما لا يعنيه ؛ والعذر كل العذر لمن عجز عن بعض ما يعنيه . وذلك سر من أسرار هذا الحديث .

وسر آخر وهو أن الإنسان — كما قال علماء النفس — لا بد له أن يفكر ، ثم لا بد له أن يعمل ، فإذا ترك ما لا يعنيه انحصر همه فيما يعنيه ، فانقطع له وردد النظر فيه ، وأفرغ جهده فى إجادته وإتقانه ، وذلك سبيل التقدم والنبوغ ، والابتكار والاختراع فى العلوم والفنون على اختلاف أنواعها وتفاوت طبقاتها . وما أحوجنا الى إحسان الإهمال إذا ابتغينا العزة والكمال !

(١) أخرجه أبو داود والترمذى . (٢) أخرجه مسلم ، وانظر تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء » الآية فإن بينهما وبين الحديث عهداً . وكأنه مستمد منها .

وسر ثالث وهو أن شغل المرء بما يعنيه حصن له من الذلة والمهانة والتسكع والاستعجاء ،
وُجْنة له من الموبقات والآثام ، بل حماية للمجتمع من النفاق والشقاق ومنكرات الأخلاق ،
وهل ازدحمت المحاكم ، واكتظت السجون ، وتناحر الناس ، وأوقدوا بينهم نار العداوة
والبغضاء إلا لأنهم أفرطوا في اللغو والفضول ، وقتلوا الوقت في الآثام والشرور ؟ وهل ينتظر
من جنود البطالة والفراغ إلا ذاك ؟

لاغربة إذاً أن يشير الحديث إلى تربية الثقة بالنفس ، والاعتزاز بها والاعتماد عليها ، في
غير صلف ولا ازدهاء ؛ فإن الانقطاع إلى العمل سر النجاح فيه ، والنجاح يدعو إلى النجاح .
ومن جنى ثمرة عمله ، أوشك أن يمتلئ قوة وإقداماً وعزماً وحزمًا ، وهنا لك بدهش الأبواب
ويأتى بالمعجب المعجب .

يفخر الغربيون ومن لف لفهم بتقدمهم في العلوم والفنون والتربية والاجتماع ، ويشكو
الشرقيون تأخرهم في قافلة الحياة ، وقد كانوا ملوك الدنيا وأئمة العلوم ؛ فلولا جلس الأولون
بين يدي هذا النبي الأسمى الكريم ، ليتعلموا في ساعة من نهار ، ما أتقنوا فيه المحارب والأعمار
ثم لم يبلغوا المراد ، ومأمم ببالغيه ؛ وهلا اهتدى الآخرون بهديه واقتفوا أثر أصحابه فاستردوا
مكانهم واستعادوا سيرتهم ، واستراحوا وأراحوا من عناء الضجيج وبلاء الشكوى والصباح ؟
« ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم »
هذا ، وفي الحديث دعوة إلى الورع ، والورع صفوة الدين ، وعماد التقوى ، وملاك الخير
كله . كان علي رضي الله عنه يختبر القصاص فن رآه أهلاً للتذكير تركه وإلا أقامه . مر بالحسن
البصري رحمه الله وهو يذكر الناس فقال له : ما هذا الدين ؟ فقال الورع ، قال فما آفته ؟ قال الطمع .
فقال له تكلم الآن إن شئت . وروى الطبراني في الأوسط ، والبخاري بإسناد حسن ، أنه صلى الله
عليه وسلم قال : فضل العلم خير من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع .

وأخيراً يدعو الحديث إلى العلم والعمل ، والهدى والنقى ، وأولئك أبواب الرحمة ، ومنافع
الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الأبواب »
أفرايت بعد هذا كيف أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلام واختصر له الكلام
اختصاراً ، فبلغ رسالات في كلمة ، وهدى أمماً في حكمة ؟

أو رأيت بعد هذا كيف قال الأئمة بحق ، إن هذا الحديث مجمع الآداب ، وينبوع الحكم ،
وأنه لم يدع فضيلة إلا رغب فيها ، ولا نقيصة إلا نقر منها ؟

أو لم تعلم بعد أن حديث خاتم النبيين من بعد كلام رب العالمين ، لا تغني عجايبه ، ولا تنهى
بدائعه ، ولا يغني عن حكمه وأسراره ، وأنه نور مبين ، وهدى إلى الصراط المستقيم ؟

طه محمد السالك (المدرس بالأزهر)

الفلسفة الإسلامية في الشرق

- ١ -

جماعة إخوان الصفاء

لم يكذب بعضى على موت الفارابي ثلاثون سنة حتى هب جماعة من صفوة علماء العصر وخاصة حكمائه الذين أحاطوا بنظريات الأقدمين من فلاسفة الاغريق والهند وفارس ، وقتلوا مجنأً وتحجيصاً ، وهضموا براهينها واعتراضاتها ، ونجحوا في اكتناه خفاياها وأسرارها ، واستنبطوا منها آراء خاصة ، أقل ما تدل عليه عندهم هو النضوج الفائق في النظر والفكر ، وفوق ذلك فقد صفت نفوسهم من شوائب المادة ، وعلت أرواحهم عن علائق المنفعة ، فوصلوا — كما ينبئوننا في رسائلهم — الى أسنى آواج الاخلاص والوفاء .

ولما تصافت نفوسهم ، وتعارفت أرواحهم ، تآخروا على البر والتقوى ، وقر رأيهم على أن يكونوا لهم هيئة علمية وأخلاقية تتعاون على نشر الثقافة العالية من : إلهيات ، رياضيات ، وطبيعيات ، وخلقيات ، بأسلوب أدبي سلس ، لكي يندوqe الخاصة ، ولا يتعسر فهمه على العامة . ولما كان أساس تكوينهم هو الاخلاص والقدائية فقد أطلقوا على أنفسهم اسم : « إخوان الصفاء وخلان الوفاء » . وقد حدثنا الأستاذ « دى بوير » في دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية نقلاً عن الأستاذ « جولد زهير » أن هذه الجماعة قد أخذت اسمها من خرافة « الحمامة المطوقة » في كتاب « كليله ودمنة » لأن هذه الخرافة فضلاً عن أنها اشتملت على نفس الكلمة « إخوان الصفاء » قد احتوت من الغيرية والتضحية ما اشترطته هذه الجماعة في الصداقة ، فكما نرى الحمامة في الخرافة تطلب الى الجرز أن يقطع شباك صديقاتها قبل شبكتها ، وتقدم نجاتهن على نجاتها ، نرى إخوان الصفاء يقولون في أحد الفصول التي كتبوها عن الصداقة مانصه : « فاذا أسعدك الله يا أخى بمن هذه صفته ، فابذل له نفسك ومالك ، وق عرضه بعرضك ، وافرش له جناحك ، وأودعه سرك ، وشاوره في أمرك ، وداو برؤيته عينك ، واجعل أنسك إذا غاب عنك ذكره والفكر في أمره ، وإن هفا هفوة فاغفر له ، وإن زل زلة فصمرها عنده ، ولا توحشه فيخاف من حقدك ، واذكر سالف إحسانه عند إساءته ليأنس بك ، ويأمن من فائلتك ، فإن ذلك أسلم لوده ، وأدوم لإخائه (١) » .

(١) انظر الفصل الثالث من الرسالة الخامسة والأربعين من رسائل (إخوان الصفاء) ،

ألف أولئك العلماء جماعتهم بطريقة سرية لا يطلع عليها أحد من العامة ولا من الخاصة ، لأنهم آمنوا بأن فشلهم مقرون بإيضاح خطتهم ، أو بإظهار أسمائهم ، إذ كان يكفي لسحقهم وإحباط كل أعمالهم أن يهب بضعة شيوخ من رجال الدين ، فيؤلبوا عليهم العامة ، معلنين أنهم زنادقة أو ملحدون ، ولكن هل معنى هذا أنهم كانوا يخفون منتجاتهم ويضنون بها على الجماهير كما ضنوا عليها بأسمائهم وأمكنة اجتماعاتهم ؟ كلا ، بل حرصوا بالعكس على أن يذيعوا آراءهم وأفكارهم ما استطاعوا إلى هذه الإذاعة سبيلا ، لأن الغاية التي كانوا يرمون إليها من عملهم إنما هي تنقيف الأمة وتهذيبها بعد أن عجزت الشريعة --- في رأيهم --- عن أداء هذه المهمة لما أصابها في نظرهم من لطخات البدع والمستحدثات الدخيلة التي حالت بينها وبين القيام بمهمتها تمام الحيلولة . وهم في هذا يقولون فيما يروى لنا عنهم أبو حيان التوحيدي :

« إن الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصاحبة الاجتهادية . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية ، والشريعة العربية فقد حصل الكمال (١) » .

هذه هي غايتهم التي أعلنوا أنهم ألفوا جميعتهم من أجلها ، وصرحوا بأنهم لو آمنوا تعصب الخاصة وهوس العامة لأظهروا أشخاصهم ومجتمعاتهم للعيان ، لأنهم ليس لديهم ما يخجل أو ما يريب ، وليس لهم أية غاية أخرى غير التي أعلنوها ، ولكن الناس لم يطمئنوا إليهم ولم يصدقوا ما قالوه ، بل رموهم بأغراض شخصية كانوا يفتنون الوصول إليها من وراء حركتهم هذه وهي قلب الدين والعرش . وقد ذاعت هذه التهمة في عصرهم بين الخاصة والعامة ، فارتاب فيهم أولئك ، وحمل عليهم هؤلاء . وإننا لنجد عناصر هذه الريبة في إخوان الصفاء عند الوزير صمصام الدولة حين نعى إليه أن أبا حيان متصل بأحد أعضاء هذه الجماعة ، وهو : زيد بن رفاعه ، فقال مخاطبا أبا حيان :

« حدثني عن شيء هو أهم من هذا إلى ، وأخطر على بالي : إني لا أزال أسمع من زيد ابن رفاعه قولا يرييني ، ومذهبا لا عهد لي به ، وكناية عمالا أحقه ، وإشارة إلى مالا يتوضح شيء منه . يذكر الحروف ويذكر اللفظ ، ويزعم أن الباء لم تنقط من تحت واحدة إلا لسبب ، والياء لم تنقط من فوق اثنتين إلا لعلته ، والآلاف لم تهمل إلا لغرض ، وأشباه هذا ؛ وأشهد منه في عرض هذا دعوى يتعاضم بها ، وينتفخ بذكرها ، فما حديثه ؟ وما شأنه ؟ فقد بلغني يا أبا حيان أنك تغشاه وتجلس إليه وتكثر عنده ، ولك معه نوادر معجبة ، ومن طالت عشرته لا إنسان صدقت خبرته ، وأمكن اطلاعه على مستكن رأيه ، وخافى مذهبه » . قال أبو حيان : أيها الوزير أنت الذي تعرفه قبلي قديما وحديثا ، لا اختبار ولا استخدام ، وله منك الإصره

القديمة والنسبة المعروفة». قال: دع هذا وصفه لى. فقال أبو حيان: «هناك ذكاء غالب، وذهن وقاد، وامتسح في قول النظم والنثر، مع الكتابة البارة في الحساب والبلاغة، وحفظ أيام الناس، وسماع المقالات، وتبصر في الآراء والديانات، وتصرف في كل فن: إما بالشد الموم، وإما بالتوسط المفهم، وإما بالتنهاى المفهم». قال الوزير: فعلى هذا ما مذهب؟ قال أبو حيان: «لا ينسب الى شيء، ولا يعرف له حال، حيث إنه تكلم في كل شيء، وغلبانه في كل باب، ولاختلاف ما يبدو من بسطته ببيانه، ووسطوته بلسانه، وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا، وصادق بها جماعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم: أبو سليمان محمد بن مشعر البستي (ويعرف بالمتدسى) وأبو الحسن على بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد المهرجاني، والموفي وغيرهم وصحبهم وخدمهم. وكانت هذه العصاة قد تألفت بالعشرة، وتصافت بالصدقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله» (١).

فأنت ترى من هذا الحديث أن الوزير مرتاب يوجس خيفة من هذه الجماعة، وأن أبا حيان - وإن كان قد حام حول الايضاح - لم يكشف اللثام عن تأسيس هذه الفئة، ولم يحط علما بأغراضها الحقيقية. ولذلك قد ظلت هذه الأغراض موضع التكهن والخلط حتى عند الباحثين المحدثين في عصورنا الحاضرة. وإليك ما يقوله «البارون كارادى فو» حول تأسيس هذه الجماعة:

«إن هذه الجماعة لم تكن جمعية فلسفية بسيطة، وإنما كانت الى جانب ذلك شيئا آخر، وإن كان من العسير أن يقال: ما هو ذلك الشيء بالضبط؟ إنه يحوم حولها سر غريب، وهو الذى يمنع من كشف غايتها وأعمالها ووسائلها، ولكن الأمر المؤكد هو أن إخوان الصفاء كان لديهم أدوات أخرى المدبابة غير مؤلفاتهم، بل إن هذه المؤلفات نفسها لم تقل كل شيء عنهم ولم توضح كيف كانوا ولا ماذا كانوا يفعلون، ولكنهم كانوا يشغلون بالسياسة» (٢).

ومهما يكن من الأمر، فإن الذى لا ريب فيه أن هذه الجماعة قد وجدت وتكونت من عدد عظيم من خاصة رجال العصر وكبار علمائه وفصحائه، وفطاحل مفكريه وفلاسفته، وأن أعضاءها كانوا من أشد أهل زمانهم محافظه على مكارم الاخلاق وتمسكا بالفضائل العالية من: إخلاص ووفاء، وطهر وصدق وأمانة وغير ذلك، وأنها كانت ترمى إلى غاية معينة قد يكون ماصرحت به جزءا منها، وقد يكون غيرها، سواء أكان هذا الغير متجها إلى السياسة أم الى الدين أم إليهما معا.

(١) انظر صفحات ٢٢ وما بعدها من الرسالة المذكورة آنفا. (٢) انظر ابن سينا للبارون كارادى فو

بقي الآن في هذه النقطة أن نعلن أن « البارون كارادى فو » يخالفنا فيما نراه من أن هذه الجماعة قد اقتصرت على خاصة العلماء وأفذاذ المفكرين ، إذ يرى أنها قد حوت بين دفتيها إلى جانب أسماء الخاصة والممتازين عددا كبيرا من أسماء الجبهة والعوام الذين أوتوا نصيبا من الثروة ، ليساهموا في الجمعية بأموالهم كما ساهم الأولون بأفكارهم ، وليس هذا خسب ، بل قد انضم إليها من لا علم عنده ولا مال ، فساهم فيها بخدماته العملية . واليك ما يقوله في هذا : « ولم يكونوا يقتصرون في جمعيتهم على قبول الفلاسفة ، بل إن القاعدة العامة كانت قبول أشخاص من جميع العناصر ، وكان على كل واحد أن يقوم بدوره حسبما تمكنه كفايته : فواحد يقوم بالتعليم ، وواحد يقوم بالمال الضروري . أما الذين لم يكن لديهم ذكاء ولا جاه ولا مال ، فقد كانوا مختصين بالأعمال الأكثر تواضعا . وإذا ، فقد كانت جمعية عامة مكونة من عناصر غير متجانسة ، مرتبطة فيما بينها بإدارة قد غابت عنا قواعدها ، وإن كنا نعرف روحها . بل إننا نستطيع أن نجد بلا مشقة في عصرنا هذا جماعات تشبه هذه الجماعة » (١) .

وسنناقش هذا الرأي في العدد المقبل ، فالى الملتقى . يتبع الدكتور محمد غنوب

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

تنف من البلاغات

قيل لبعض الخلفاء إن شبيب بن شبة يستعد للمواقف ويهيء لها الكلام ، فلو أمرته أن يصعد المنبر لحاجة لاقتضج . فأمر الخليفة رسولا فأخذ بيده فأصممه المنبر . فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وسلم ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر . فأما الأسد الخادر فأشبهه منه صولته ومضاؤه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وعطاؤه ، وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره وضياؤه ، وأما الربيع الناضر فأشبهه منه حسنه وبهاؤه . ثم نزل ، فكان فيها أبلغ رد على من تنقصه .

وقال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلم بحاجتك .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، يُهَرُّ الدرجة ، وهيبة الخلافة بمنعاني من ذلك . (البر تتابع النفس من إعياء أو تهيب) .

قال الخليفة : فملى رسلك ، فانا لا نحب مدح المشاهدة ولا تزكية اللقاء (أى لا نحب ما يتورط فيه الانسان عند المشاهدة واللقاء تأدبا ، وعلى رسلك أى مهل ورفق منك) .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين لست أمدحك ، ولكنى أحمد الله على النعمة فيك .

قال عبد الملك : حسبك فقد أبلغت .

بقي الآن في هذه النقطة أن نعلن أن « البارون كارادى نو » يخالفنا فيما نراه من أن هذه الجماعة قد اقتصرت على خاصة العلماء وأفذاذ المفكرين ، إذ يرى أنها قد حوت بين دفتيها إلى جانب أسماء الخاصة والممتازين عددا كبيرا من أسماء الجبهة والعوام الذين أوتوا نصيبا من الثروة ، ليساهموا في الجمعية بأموالهم كما ساهم الأولون بأفكارهم ، وليس هذا بحسب ، بل قد انضم إليها من لا علم عنده ولا مال ، فساهم فيها بخدماته العملية . واليك ما يقوله في هذا : « ولم يكونوا يقتصرون في جمعيتهم على قبول الفلاسفة ، بل إن القاعدة العامة كانت قبول أشخاص من جميع العناصر ، وكان على كل واحد أن يقوم بدوره حسبما تمكنه كفايته : فواحد يقوم بالتعليم ، وواحد يقوم بالمال الضروري . أما الذين لم يكن لديهم ذكاء ولا جاه ولا مال ، فقد كانوا مختصين بالأعمال الأكثر تواضعا . وإذا ، فقد كانت جمعية عامة مكونة من عناصر غير متجانسة ، مرتبطة فيما بينها بإدارة قد غابت عنا قواعدها ، وإن كنا نعرف روحها . بل إننا نستطيع أن نجد بلا مشقة في عصرنا هذا جماعات تشبه هذه الجماعة » (١) .

وسنناقش هذا الرأي في العدد المقبل ، فالى الملتقى ؟ يتبع الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

نتف من البلاغات

قيل لبعض الخلفاء إن شبيب بن شعبة يستعد للمواقف ويهيء لها الكلام ، فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لافتضح . فأمر الخليفة رسولا فأخذ بيده فأصمده المنبر . فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وسلم ثم قال : ألا إن أمير المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر . فأما الأسد الخادر فأشبهه منه صولته ومضاؤه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وعطاؤه ، وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره وضياؤه ، وأما الربيع الناضر فأشبهه منه حسنه وبهاؤه . ثم نزل ، فكان فيها أبلغ رد على من تنقصه .

وقال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلم بحاجتك .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، يهتر الدرجة ، وهيبة الخلافة يمنعانى من ذلك . (البهر تتابع النفس من إعياء أو تهيب) .

قال الخليفة : فملى رسلك ، فانا لا نحب مدح المشاهدة ولا تزكية اللقاء (أى لا نحب ما يتورط فيه الانسان عند المشاهدة واللقاء تأدبا ، وعلى رسلك أى مهل ورفق منك) .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين لست أمدحك ، ولكنى أحمد الله على النعمة فيك .

قال عبد الملك : حسبك فقد أبلغت .

الفلسفة في الشرق

- ٦ -

مصر (تتمة)

وقد كان من مصر محمود موفق في تكوين فكرة الكلمة (الوجوس) . حقا، إن كثيرا من الشعوب سبقوها في الاعتقاد بقوة « الكلمة » في العالم وخلقه ، لكن لم يصل واحد من هذه الشعوب حتى في الأوساط الإغريقية إلى ما وصلت إليه من تنظيم هذه الفكرة تنظيما دقيقا يقوم على مذهب خاص . فالصانع يخلق بالتعبير بلسانه مما يفكر فيه بقلبه ، وهكذا خلق الآلهة وكاهاتهم (١) . وقد كان لهذه الفكرة أثرها على اليونان حتى إنه ابتداء من العصر السابق لسقراط إلى العصر الأفلاطوني الجديد تركزت الفكرة اليونانية في دائرة الأوضاع التي صور بها المصريون تلك النظرية .

ولم تبتكر مصر نظرية العلم والمعرفة ، ولكنها تجاوزت الفن فوصلت إلى شأو جدير بالاعجاب . وقد ارتفعت إلى ذروة التفكير بطريقتين : أولا إخلاصها التام للحكمة العملية التي اعتبرها اليونانيون فيما بعد فلسفة وأطلقوا عليها هذا الاسم ، وثانيا بفلسفتها الدينية التي قدمنا بعض الشيء عنها . ولما انهارت مؤقنا جميع العقائد في أيام المملكة الوسطى بدت ، مقابل روح التشكك واليأس ، بعض الثقة المعقولة في قيمة الإدراك الفردي ، وذلك لايجاد التوازن الضروري في الحياة اليومية ، ففكرة « اعرف نفسك » السقراطية كانت لها سوابق فضلا عن فكرة محاسبة الضمير الراقية . لقد تقدمت تلك الحكمة في صور قصص رمزية على الطريقة الشرقية ، ومع هذا فقد أثرت في الحياة الانسانية بأفكارها الواضحة ، أو في بعض الأحيان استطاعت تقوية المحافظة على الدين . والحديث بين أحد المصريين وعقله بعد مثالا سابقا لقصة أيوب البابلية كما سيأتي إيضاحه ، ويعهد لقصة أيوب العبرية التي جاءت بمسند الأولى بألف طام . ونجد في ناحية تربية الملوك تعليمات « ميراكارا » التي يمكن أن تقارن بالمولفات التي وضعها « مكيا فيلي » وأمثاله . وفي كل هذه النواحي العملية كانت الأفكار تشحن في النقاش ، حتى كان أساتذة الجدل الإغريق يهتمون اهتماما لا حده بالتردد على السكينة للاستفادة منهم . وقد كان الاعتقاد السائد عند اليونان بأن التفكير والتأمل المصري عميق بنسبة قدمه ، يقابله من جانب المصريين تقهم في هذا التفكير وفيما أثر لديهم منه حتى كانوا يرونه خالدا .

(١) « كاه » هو القرين ، وتقدم له ذكر .

ومن الأمور البديهية أن الروح المصرية كانت ذات صبغة إفريقية ، وهذا ما يساعدنا على فهم مختلف مميزات ثقافتها ؛ وهي المذهب الواقعي (Réalisme) ، والوثنية « الفتشية » (Fétichisme) ، والاعتقاد في تعادل أشكال الوجود المتعددة دون حاجة الى تدخل التناسخ كما كان بالهند بآسيا . وقد كان السحر أكثر وضوحا وأشد قوة مما كان عليه عند السوميريين بعكس التصوف العددي الذي كان أقل دقة ، والصنعة (الكيمياء) والتنجيم اللذين لم يصلا الى شأو يدل على كبير عبقرية . وكل ما نأمل هو أن تقوم مقارنة مستندة الى وثائق قيمة وبعيدة عن التحيز لتلقى ضوءا على التشابه والاختلاف بين حضارة مصر وحضارة اليونان اللتين هما أصل الحضارات الأخرى ، واللتين لم تنشأ بينهما علاقات مباشرة مستمرة إلا ابتداء من الألف الثاني ق . م ، ولكن هناك من يشك في أثرهما في تكوين باقي حضارات العالم . وأخيرا ، فانه في ميدان هذا الأبحاث ، القيمة جدا في دراسة التفكير ، قد أخذنا نكشف أن الجزء الأكبر من القارة السوداء (يريد إفريقيا) لم يكن متوحشا كما ظن قبلا ، بل إنه أثر بتفكيره خلال عزلته بسبب الصحراء وانتقل أثره من النيل عن طريق لوبيا والنوبة والحبشة .

مراجع عامة :

- ١ — باتيه « Baillet » النظام الفرعوني والأخلاق ، طبع عام ١٩١٣ .
- ٢ — برستيد ، تقدم الدين والفكر في مصر القديمة ، نيويورك عام ١٩١٢ .
- ٣ — إرمات ، الدين المصري ، ترجمة فرنسية باريس عام ١٩٠٧ . الأدب المصري ، ليزر عام ١٩٢٣ .
- ٤ — فريزر « Frazer » آتيس وأوزيريس ، ترجمة فرنسية ، حوليات متحف جيميه نشر جيتنر بباريس عام ١٩٢٦ .
- ٥ — موريه « Moret » الصبغة الدينية للمملكة الفرعونية سنة ١٩٠٣ . ماسبيرو والدين المصري ، مجلة تاريخ الأديان ٧٤ نوفمبر سنة ١٩١٦ — الأسرار المصرية ، الطبعة الثالثة باريس ١٩٢٢ — ملوك مصر وآلهتها ، الطبعة الثالثة باريس ١٩٢٢ — النيل والحضارة المصرية ، باريس عام ١٩٢٦ .

الباب الثالث

ما بين النهرين

كانت مقاطعة بامير (١) هي الوسط الجبلي الذي تكونت فيه أوراسيا ، أما مركز

(١) هي إقليم جبلي في آسيا الوسطى .

جغرافيتها البشرية فهو ما بين النهرين . وإنه وإن كانت الحضارتان الكريتية والمصرية لا تقلان عن حضارة هذه البلاد قديما ، فهما بالنسبة لها يعتبران كنسبة المحيط للكرة . وإن مراکز الثقافة التي ارتفع ضوؤها في الفينة والفينة في بلاد عيلام ، وبلاد سومير (١) ، وعند الساميين الأكاديين في بابل وفي آشور ، وبالأجمال في جميع ما بين النهرين (الجزيرة) — كل هذه المراكز تؤكد وجود ارتباطات حميقة دائمة مع باقي العالم القديم . فحضارة هذه المراكز — التي كانت مثل خط من القمم والذرا — كانت تسطع وتتوزع على شواطئ البحر الأبيض المتوسط غربا ، وعلى آسيا الجنوبية والشرقية القصوى ، وتؤثر فيها تأثيرا عميقا . هنالك كانت النظم والأفهام الأولى الخاصة بتركيب السكون ونظام الانسانية .

١ — السوميريون

إن أقدم مرحلة كشفت — حسب معرفتنا الحالية — على الأقل من الناحية التاريخية ، هي الحضارة المشتركة بين العيلاميين ، وأصلهم من سوس وهم الذين سبقوا السوميريين ، وبين الحضارة المتقدمة أيضا التي أكدتها الحفائر التي تمت في سنة ١٩٠٣ — سنة ١٩٠٤ بمنطقة مرو . وقد تبين أن التطور استمر من العصر الحجري إلى العصر المعدني ، ثم ظهرت سوس في العصر الحرفي ، ومن تلك المنطقة انتقل إلى ما بين النهرين وإلى آسيا القديمة تأييس الحيوانات على ما يبدو .

كان العيلاميون يسكنون الطرف الغربي من الهضبة الإيرانية ، ثم غزوا السهول ذات المستنقعات وذات الخصب القوي السكامن والتي كانت يجتازها دجلة والفرات فتبلغ البحر بطريق مصبين منفصلين . في ذلك الوسط الذي يحاكي دلتا النيل تكونت الحضارة السوميرية التي تعتبر أساسا لعدة حضارات آسيوية ، والتي كانت معاصرة لآسيا نبي الأناضول واشتركت معهم في الدين وفي الصناعات الفخارية . وقد دلت بعض الحفائر التي عملت في حوض نهر السند على وجود ثقافة سابقة للثقافة الهندية في مكان يبعد كثيرا عن الحدود الغربية للهضبة الإيرانية ، وهذه الثقافة تنسب للسوميريين الدراويديين . ولهذا لنا أن نقول إن العامل « Le facteur » السوميري سيظل العنصر الأساسي لثقافة ما بين النهرين ، بعد أن أحدث أثره في آسيا مدة تقرب من ألف عام (٣٣٠٠ - ٢٣٥٨ ق . م) ثم انتزع الساميون ثم الهنود الأوربيون على التوالي منه هذا الأثر .

وهناك توافق غريب لم يحس به بين العمل « L'aenvre » المادي والمعارف الأسطورية الخاصة بالسوميريين . لقد كانوا رعاة في الأدغال التركستانية أو في الجبال العيلامية ، ثم نزلوا

الى الشواطىء واضطروا الى استغلال الأرض التي جفت حديثا ، رغبة في مواجهة كارثتين متضاربتين : كارثة المستنقعات الرطبة ، و كارثة الصحراء الحارة . لقد حفروا الترع والجداول فوصلوا الى نتيجتين عكسيتين وإن كانت إحداها تكمل الأخرى ، وهما تخفيف الأرض وريها ، وكان من هذا أن استغلوا العناصر الأساسية - عنصر الماء وعنصر الأرض - فوقوا بينهما وحصلوا على الخصب . وقد أدى ذلك الى إيجاد شعب زراعى وملاح فى آن واحد ، مثل الصينيين والمصريين ، مع فارق هو أن هؤلاء وجدوا الدلتا ممهدة بينما اضطر السوميريون الى رسم دلتاهم وتخطيطها . ومن الهام جدا أن نذكر أن شعوب ما بين النهرين قاموا بطرق « Techniques » أخرى لها اتصال بالأرض الزراعية ؛ فقد وجدوا قابلية التشكل تلتقى والصلصال الذى أخذوا يشتغلونه فيحولونه الى خزف ، ويستعملونه فى المباني والكتابة . والعملية المشتركة فى جميع هذه الصناعات هى إعطاء المادة المرنة شكلا .

هذه المسألة أو النظرية تفسر نوعا ما روح ما وراء الطبيعة التي كانت تشملها الأساطير السوميرية . مثال ذلك أن صناعة هذه الأشياء تؤدي الى عمل صورة إله للأشياء المصنوعة من الصلصال ، والى تعيين اسم لكل نوع ولكل حمل ، وتحديد مصير لكل وجود ، واعتبار هذا المصير قانونا ثابتا ، ونظرية المياه الأيونية وأسطورة المادة المضطربة الأفلاطونية التي خفف الصانع (الديمورج) من حديثها ، وهذه وتلك يبينان لنا استمرارا تمثيل الآلهة الغاضبة « تيامات » وهى فى قبضة الإله ماردوخ (١)

وقد عرف السوميريون السحر لعوامل اقتضته . ذلك بأن الفرد كان يجد نفسه ضحية لخصومة بين القوى الطيبة والقوى الشريرة ، وعرضة دائما لتحمل أذى السحر ، فكان مضطرا للدفع عن نفسه بالسحر أيضا ، ويكون هذا بتلاوة السكاهن بعض التعاويذ الخاصة التي تحول بينه وبين الشياطين وترضى الآله . ومن السهل أن نفهم هذا إذا عرفنا أن الآلهة كانوا متقن وافية للناس لتساوهم وإياهم فى الذوات ؛ وذلك لما كانوا يرون من أن الإنسان يشترك فى المثل الأزلية ، وأن الآلهة نشأوا عن تسامى الملوك والباطال .

وأخيرا ، إن الآلهة (المعبودات) السوميريين المشتركين مع الملوك الذين — شأنهم شأن الفراعنة والبابرة الصينيين — كانوا يعتبرون أبناء الآلهة ، كانوا يضمنون خصب الطبيعة

(١) إننا نجعل اللاهوت السوميرى فى دورهم الدينامى « Pastorale » إذ كل ما سبق للتاريخ . لسكن المفروض أنهم عندما سكنوا منطقة عيلام تخيلوا ديننا جليا . واحتفظوا منذ ذلك الوقت بهذه العبادة المتعالية التي أوحى إليهم بعد ما أصبحوا من سكان ما بين النهرين بناء الديجورات ، وهى حصون ضخمة ذات سبع طبقات وبعد برج بابل أهم مثال لها . والهاكل الهندية (الباجودات) والأبراج الصينية قد نقلت الى تلك البلاد هذا الضرب من المباني بعد تحويل شكلها واتخاذها لأغراض أخرى .

بأن يهيمنوا على الفيضانات ويديروا شئون الإنبات وينظموا الأحداث الكونية . وتحقيقاً لأغراضهم الزراعية كانوا يتمتعون بخواصهم الجنسية ، كما سيكون فيما بعد للألهة الهندوسيين زوجات من الالهات . جميع الأشكال النسائية للألهة قد أصبحت لها قيمة الآلهة الكبرى ، الأم العالمية ، التي احترامها الإيجيون والآسبانيون وال دراويديون من البحر الأبيض المتوسط إلى خليج البنغال . ومن هذه الالهات تيامات إلهة المحيط ، وإشتار ابنة آنو إله السماء . وقد كانت الأولى شكلاً أولياً أسطورياً للمادة ، كما كانت الثانية شكلاً أولياً أسطورياً كذلك للطبيعة في نظر الفلسفة الهيكلينية .

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

الحديث موصول

اعلان

(من الادارة العامة للمعاهد الدينية)

الادارة العامة للجامع الأزهر والمعاهد الدينية في حاجة الى مدرسين من خريجي قسم إجازة التدريس وخريجي قسم التخصص القديم الذين درسوا فن التربية . وسيعمل امتحان مسابقة خصيصاً لهذا الغرض تحريراً في : الأدب — الصرف — الفقه المنطق — الحديث — التاريخ .

وشفوياً في : البلاغة — النحو — الأصول — التوحيد — التفسير — الأخلاق .

ولا يدخل الامتحان الشفوي إلا من نجح في الامتحان التحريري وحاز فيه ٥٠ ٪ .

على أنه يصح لكل واحد من خريجي كليتي اللغة العربية وأصول الدين اختيار إحدى شفتيهما أما خريجو التخصص القديم فيدخل كل واحد منهم في الشعبة التي تخرج فيها على أن تعتبر شعبة التاريخ والأخلاق شعبة قائمة بنفسها .

ويستثنى من هذا الامتحان من كان ترتيبه الأول في الشهادة العالية من كل كلية في الخمس سنوات الأخيرة بما فيها سنة ١٩٤٣ الدراسية .

فعلى الراغبين أن يقدموا طلباتهم الى الادارة العامة « قسم المستخدمين والمعاشات » في موعد لا يتجاوز يوم الخميس ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ على الاستمارة رقم ١٦٧ ع ح ، ومعها صورتهم الشمسية موقعا عليها منهم ومبيناً بها المادتان المراد الامتحان فيهما ويمكن الحصول على هذه الاستمارة من مكاتب البريد .

وسيكون الامتحان التحريري يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٣ في المكان الذي سيعلن عنه فيما بعد — وعلى المكفوفين استحضار كاتب لكل واحد منهم بحيث لا تزيد معلوماته عن مستوى طالب السنة الثانية من القسم الثانوي بالمعاهد .

بأن يهيمنوا على الفيضانات ويديروا شئون الإنبات وينظموا الأحداث الكونية . وتحقيقا لأغراضهم الزراعية كانوا يتمتعون بنحو احصهم الجنسية ، كما سيكون فيما بعد للآلهة الهندوسيين زوجات من الالهات . جميع الاشكال النسائية للآلهة قد أصبحت لها قيمة الآلهة الكبرى ، الأم العالمية ، التي احترامها الأيحيون والآسبانئون والدرأويديون من البحر الأبيض المتوسط إلى خليج البنغال . ومن هذه الالهات تيامات إلهة المحيط ، وإشتار ابنة آنو إله السماء . وقد كانت الأولى شكلا أوليا أسطوريا للعادة ، كما كانت الثانية شكلا أوليا أسطوريا كذلك للطبيعة في نظر الفلسفة الهيلينية ؟

الحديث موصول
المدرس بكلية أصول الدين محمد يوسف موسى

اعلان

(من الادارة العامة للمعاهد الدينية)

الادارة العامة للجامع الأزهر والمعاهد الدينية في حاجة الى مدرسين من خريجي قسم إجازة التدريس وخريجي قسم التخصص القديم الذين درسوا فن التربية .
وسيعمل امتحان مسابقة خصيصا لهذا الغرض تحريرا في : الأدب — الصرف — الفقه المنطق — الحديث — التاريخ .

وشفويا في : البلاغة — النحو — الأصول — التوحيد — التفسير — الأخلاق .
ولا يدخل الامتحان الشفوي إلا من نجح في الامتحان التحريري وحاز فيه ٥٠ ٪ .
على أنه يصح لكل واحد من خريجي كليتي اللغة العربية وأصول الدين اختيار إحدى شعبتهما أما خريجو التخصص القديم فيدخل كل واحد منهم في الشعبة التي تخرج فيها على أن تعتبر الشعبة التاريخ والأخلاق شعبة قائمة بنفسها .
ويستثنى من هذا الامتحان من كان ترتيبه الأول في الشهادة العالية من كل كلية في الخمس سنوات الأخيرة بما فيها سنة ١٩٤٣ الدراسية .

فعلى الراغبين أن يقدموا طلباتهم الى الادارة العامة « قسم المستخدمين والمعاشات » في موعد لا يتجاوز يوم الخميس ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ على الاستمارة رقم ١٦٧ ع ح ، ومعها صورتهم الشمسية موقعا عليها منهم ومبينات بها المادتان المراد الامتحان فيهما ويمكن الحصول على هذه الاستمارة من مكاتب البريد .

وسيكون الامتحان التحريري يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٣ في المكان الذي سيعلن عنه فيما بعد — وعلى المكفوفين استحضار كاتب لكل واحد منهم بحيث لا تزيد معلوماته عن مستوى طالب السنة الثانية من القسم الثانوي بالمعاهد .

حياة خلائف الأئمة

عثمان بن عفان

— ١٦ —

نوافذ الأحداث

لم يرض المنحرفون عن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بتلمس التوافه ولزقها بسيرته وحساباتها عليه سقطات ينفذون منها الى مجاهل الفتنة ، حتى عمدوا إلى مشارق محاسنه ، وفرائد مفاخره الاسلامية ، وخلعوا عليها من أباطيلهم ثوبا يشف عن افتراء الكذب واعتماد التضليل .

وقد رأينا في البحث السابق كيف صوروا عمل عثمان رضي الله عنه في جمع القرآن الكريم وتوحيد اللغات واللهجات في قراءته ، وهو أعظم الخوالات في تاريخ الاسلام ، وأجل مناقب عهد عثمان ، ورأينا من حديث البخاري عن حذيفة بن اليمان كيف أن المسلمين كادوا يفتنون عن دستور شريعتهم ، وأن بعضهم كفر بعضا من أجل الحروف التي كان يقرأ بها كل قبيل حسبا نقل متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن حذيفة خشى الفتنة على المسلمين ، وخاف عليهم أن يختلفوا في القرآن كما اختلف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل ، فترفع الثقة بأصل الدين ، فطلب الى الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان أن ينهض بهذا العبء الجسيم ، وقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك ، فما كان من عثمان رضي الله عنه إلا أن قدر الأمر حق قدره ، وتمثل خطره ، ولم يعمل منفردا ، اعتمادا على سلطان الخلافة المطلق ، وحق الامامة الذي لا يدفع ، ولسكنه - وهو الخليفة الراشد - لجأ الى سنة الاسلام في الشورى ، لجمع المهاجرين والانصار وشاورهم في الأمر ، وفيهم أعيان الأئمة ، وسادة القادة ، وأعلام الأمة ، وعلماء الصحابة ، وفي طليعتهم ربيب النبوة ومدينة العلم على كرم الله وجهه ، وهو من لا يشك هؤلاء المنحرفون في قوة يقينه وشدة شكيمته في الدين ، فكيف بأصل أصوله ، ودستور شريعته ، كتاب الله الحكيم ، فما كانت لتأخذه في الحق لومة لائم ، وقد عرف عنه تاريخ الجهاد الاسلامي أنه لو احتوشته السيوف من كل جانب ما رضى دون نلال الحق مقيلا .

ثم عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وهداتها ، وباحثهم حتى

رأيهم وعرفو رأيهم ، فأجابوه إلى ما اختار في صراحة لا تجعل للريب إلى قلوب المؤمنين سبيلا ،
وظهر للناس في أقطار الأرض ما انعقد عليه إجماعهم ، ولم يعرف قط حينئذ لهم مخالف ،
وليس شأن القرآن بالذي يخفى على آحاد الأمة فضلا عن علماء البارزين ؛ روى ابن أبي داود
عن سويد بن غفلة عن علي بن أبي طالب « أن عثمان قال : ما ترون في المصاحف ؟ فإن الناس
قد اختلفوا في القراءة حتى إن الرجل ليقول : قراءتي خير من قراءتك ، وقراءتي أفضل من
قراءتك ، وهذا شبيه بالكفر . قلنا : ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين ؟ قال : الرأي عندي أن
يجتمع الناس على قراءة ، فانكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا ، قلنا : الرأي
رأيك يا أمير المؤمنين ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف
ثم نردها إليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ؛ وقال عثمان للرهط القرشيين : إذا
اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ،
ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل
أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن
يحرق . قال القرطبي بعد سوق الحديث « وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع
المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام ، وشاورهم في ذلك ، فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت
في القراءات المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأطراح ما سواها ، واستصوبوا رأيهم ،
وكان رأيا سديدا موفقا ، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين » .

ويؤيد الحديث المتقدم ما رواه أبو بكر الانباري في كتاب الرد عن سويد أيضا قال :
« سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول : يا معشر الناس اتقوا الله ، وإياكم والغلو
في عثمان ، وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم . وقد ثبت أن عليا رضي الله عنه قال : « لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في
المصاحف مثل الذي فعل عثمان » .

وقد قلنا إن حديث حذيفة يؤخذ منه أمور ذكرنا بعضها ، ووقفنا منها عند القول بأن
عمل عثمان في جمع القرآن لم يكن سوى توحيد قراءات القرآن قطعا لدابر الاختلاف بين
المسلمين ، وأنه اعتمد في ذلك على عمل أبي بكر الصديق الذي تم بإجماع قاطع ، وكان القيم به زيد
ابن ثابت ، وعلى هذا دار كلام حذاق الأئمة وأعلام الأمة ؛ قال الطبري : « إن الصحف التي
كانت عند حفصة جعلت إماما في هذا الجمع الأخير » . وقال البدر العيني في شرح البخاري :
« ولم يصنع عثمان في القرآن شيئا ، وإنما أخذ الصحف التي كانت عند حفصة رضي الله
تعالى عنها وأمر زيد بن ثابت في اثني عشر تمرا من قريش والأنصار ، فكتب منها مصاحف

وسيرها الى الامصار ، لان حذيفة أخبره بالاختلاف في ذلك ، فلما توفيت حفصة أخذ مروان بن الحكم الصحف ففصلها ، وقال : أخشى أن يخالف بعض القرآن بمضا ، وفي لفظ : أخاف أن يكون فيه شيء يخالف ما نسخ عثمان . وإنما فعل عثمان هذا ولم يفعله الصديق رضي الله عنه لأن غرض أبي بكر كان جمع القرآن بجميع حروفه ووجوهه التي نزل بها ، وهي على لغة قريش وغيرها ، وكان غرض عثمان تجريد لغة قريش من تلك القراءات ، وقد جاء ذلك مصرحاً به في قول عثمان لهؤلاء الكتاب . فجمع أبي بكر غير جمع عثمان ، فان قيل : فما قصد عثمان بإحضار الصحف ، وقد كان زيد ومن أضيف اليه حفظوه ؟ قيل : الغرض بذلك سد باب المقالة ، وأن يزعم زاعم أن في الصحف قرآناً لم يكتب ، ولئلا يرى إنسان فيما كتبوه شيئاً لم يقرأ به فينكره ، فالصحف شاهدة بجميع ما كتبوه .

وفي عمل مروان بن الحكم وغسله الصحف الأولى بعد وفاة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها لفته من لفتات العقل الوثاب ، يرشد اليها هذا التعليق الفاحص الذي يشعر بقيمة هذا العمل الخطير الذي قام به عثمان رضي الله عنه ، وببقاء الصحف الأولى الى عهد مروان - وقد جازت فيما تخطت من عهود عهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه - رافع لكل شبهة تحتاج في صدر مرضى القلوب ؛ وأخرى في إجابة المعنى عن شبهة إحضار الصحف مع اليقين بالحفظ حتى لا يكون منفذ لسوء ظن المتقولين أو غلط غير المطلعين .

فعثمان رضي الله عنه كان في عمله الخالد ينظر بنور الله ، فهو لم يعتمد على حفظه وحفظ المشهود لهم بالإتقان من أعلام الصحابة الذين لا يتعلق عليهم أحد من الناس بهفوة في أبلغ أنواع الحرص على حفظ كتاب الله في صدورهم ، ولسكنه جمل العمد في عمله مصحف الإجماع القاطع ، وكان من الموافقات الالهية أن الذي قام بالعمل في مصحف الإجماع القاطع على يد الصديق هو نفسه الذي كان على رأس القائمين بالعمل في مصحف توحيد القراءات على يد عثمان رضي الله عنه .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : « لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعهم على القراءات النابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوح تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد » . وقال الحارث المحاسبي : « المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهد من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات ، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة

التي أنزل بها القرآن ، فأما السابق الى جمع الجملة فهو الصديق ، وقد قال على كرم الله وجهه : لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان .

وفي تفسير القرطبي : « فإن قيل : فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه ، وقد سبقه أبو بكر الى ذلك وفرغ منه ؟ قيل له : إن عثمان رضى الله عنه لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف ، ألا ترى كيف أرسل الى حفصة : أن أرسلى إلينا بالمصحف ندمجها في المصاحف ، ثم ردها إليك ، وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان ، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبههم ، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضى الله عنه »

هذا كلام صريح من أئمة الدين وأعلام الاسلام في فهم العمل العظيم الذي قام به أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، فانه حفظ على الأمة وحدتها الدينية بتوحيده لنص دستورها ، وبه يظهر الفرق بين عمل الصديق الأكبر وعمل عثمان جلياً واضحاً ، فالصديق رضى الله عنه قصد الى جمع القرآن مرتباً حسب آخر عرضة عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وجعله بين لوحين خشية أن يذهب منه شيء بذهاب حملته وحفاظه ، وبدل لذلك حديث البخاري المتقدم ، وهو صريح في بيان السبب الحامل على هذا الجمع ، وأنه القتل الذي استعجر بقراء القرآن يوم النجاة ، وأن الفاروق خشى أن يستعجر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب كثير من القرآن ، ولعل هذا وجه من نسب جمع القرآن الى عمر بن الخطاب ، لأن أول جمع مرتب كان باقتراحه وسعيه ، أما عثمان رضى الله عنه فقصد الى أخذ الأمة في قراءتها بمصحف واحد توحيداً لدستور الحياة فيها ، ودفعاً لعائلة الفتنة بينها . وصونا لعقيدتها عن مغبة الاختلاف في وجوه القراءات مما قد يؤدي الى شبه في التأويل ، ويجر الى شبه ما وقع عند اليهود والنصارى من التحريف وفاسد التأويل ؟

صادق إبراهيم عمر

أخلاق عمر

قال معاوية بن أبي سفيان لصمصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب . فقال صمصعة : كان عمر عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريراً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب .

نقول : لا جرم أن من حاز جميع هذه الصفات استحق أن يكون أميراً للمؤمنين . وقد دل تاريخ عمر على أن هذا الكلام لا أثر للمبالغة فيه .

التي أنزل بها القرآن ، فأما السابق الى جمع الجملة فهو الصديق ، وقد قال على كرم الله وجهه :
لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان .

وفي تفسير القرطبي : « فإن قيل : فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه ، وقد سبقه
أبو بكر الى ذلك وفرغ منه ؟ قيل له : إن عثمان رضي الله عنه لم يقصد بما صنع جمع الناس
على تأليف المصحف ، ألا ترى كيف أرسل الى حفصة : أن أرسلي إلينا بالمصحف نكتبها
في المصاحف ، ثم تردها إليك ، وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب
تفرق الصحابة في البلدان ، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبههم ، ووقع بين أهل
الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه »

هذا كلام صريح من أئمة الدين وأعلام الاسلام في فهم العمل العظيم الذي قام به أمير المؤمنين
عثمان رضي الله عنه ، فانه حفظ على الأمة وحدتها الدينية بتوحيده لنص دستورها ، وبه يظهر
الفرق بين عمل الصديق الأكبر وعمل عثمان جلياً واضحاً ، فالصديق رضي الله عنه قصد الى
جمع القرآن مرتباً حسب آخر عرصة عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه
السلام وجعله بين لوحين خشية أن يذهب منه شيء بذهاب حملته وحفاظه ، وبذلك حديث
البخاري المتقدم ، وهو صريح في بيان السبب الحامل على هذا الجمع ، وأنه القتل الذي استجر
بقراء القرآن يوم اليمامة ، وأن الفاروق خشى أن يستجر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب
كثير من القرآن ، ولعل هذا وجه من تسبب جمع القرآن الى عمر بن الخطاب ، لأن أول جمع
مرتب كان باقتراحه وسعيه ، أما عثمان رضي الله عنه فقصد الى أخذ الأمة في قراءتها بمصحف
واحد توحيدها لدستور الحياة فيها ، ودفعاً لعائلة الفتنة بينها . وصونا لعقيدتها عن مغبة
الاختلاف في وجوه القراءات مما قد يؤدي الى شبه في التأويل ، ويجر الى شبه ما وقع عند
اليهود والنصارى من التحريف وفاسد التأويل .

صادق إبراهيم عمرجونه

أخلاق عمر

قال معاوية بن أبي سفيان لصمصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب .
فقال صمصعة : كان عمر عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكبر ، قبولاً للعذر ،
سهلاً للحجاب ، مصوناً للباب ، متحريراً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ،
ولا جاف للغريب .

نقول : لا جرم أن من حاز جميع هذه الصفات استحق أن يكون أميراً للمؤمنين . وقد دل
تاريخ عمر على أن هذا الكلام لا أثر للبالغه فيه .

باب الاستئثار والفتاوى

ليلة النصف من شعبان

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر عدة استفتاءات حول ليلة النصف من شعبان، وهي تدور حول الاعتبارات الأربعة الآتية :

الأول : هل هي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ؟

الثاني : هل ورد في فضلها أحاديث صحيحة ؟

الثالث : هل طلبت فيها صلوات خاصة ؟

الرابع : هل لها دعاء خاص ؟

الجواب :

عن الأول — أن الله تعالى قال في سورة الدخان : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا » . وقد ذكر جماعة أن هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان ، ثم ذكروا أحاديث كثيرة تبين كيفية فرق الأمور العظيمة فيها ، فأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق محمد بن سوقة عن عكرمة « فيها يفرق كل أمر حكيم » قال : « في ليلة النصف من شعبان يرم أمر السنة ، وينسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب الحاج ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أحد » . وأخرج ابن زنجويه والديلمي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى » . وأخرج أبو يعلى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان كله ، فسألته ، قال : « إن الله يكتسب فيه كل نفس ميتة تلك السنة فأحب أن يأتيني أجلى وأنا صائم » .

وأقوال أكثر المفسرين على أن هذه الآية تعني ليلة القدر ، وأنها ليست ليلة النصف من شعبان ، قال الألوس : هي ليلة القدر ، على ما روى عن ابن عباس وفنادة وابن جبير ومجاهد وابن زيد والحسن وعليه أكثر المفسرين ، والظواهر معهم . وقال في شرح الأحياء نقلاً عن أبي طالب المكي : « والصحيح من ذلك عندى أنه في ليلة القدر لأن النزول يشهد بذلك إذ في أول الآية « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » ثم وصفها فقال « فيها يفرق كل أمر حكيم » . إنما نزل في ليلة القدر ، فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة موافقة لما

تعالى « إنا أنزلناه في ليلة القدر » . وقال ابن العربي في أحكام القرآن : « ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق الفاطم : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » فنص على أن ميقات نزوله رمضان ، ثم عبر عن زمانية الليل هاهنا بقوله : في ليلة مباركة ، فمن زعم أنها في غيره فقد أعظم على الله الفرية .

وهذه الأحاديث التي ذكروها في نسخ الآجال فيها ليست صحيحة ، وليس منها ما يعول عليه ، قال ابن العربي في أحكام القرآن : ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليها .

وعن الثاني — أخرج ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول « ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه ، ألا مبتلى فأعافيه ، ألا سائل فأعطيه ، ألا كذا ، ألا كذا ، ألا كذا حتى يطلع الفجر » . وأخرج البيهقي أحاديث تتعلق بليلة النصف من شعبان أشملها لفظا الحديث الذي قال فيه : عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتني غيرة شديدة ، ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي ، فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع العرق قد يستغفر المؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقالت : بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قت فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع ؟ قال : يا عائشة « أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ بل أتاني جبريل عليه السلام فقال : هذه الليلة ليلة النصف من شعبان والله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب ، لا ينظر الله فيها الى مشرك ، ولا الى مشاحن ، ولا الى قاطع رحم ، ولا الى مسبل ، ولا الى عاق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر » ، قالت : ثم وضع عنه ثوبيه فقال لي : يا عائشة أتأذنين لي في القيام هذه الليلة ؟ فقلت : نعم بأبي وأمي ، فسجد ليلا طويلا حتى ظننت أنه قبض ، فقممت ألتمسه ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك ، وسمعته يقول في سجوده : أعوذ بعفوك من عقوبتك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك ، جل وجهك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ؛ فلما أصبح ذكرتني له فقال : يا عائشة تعلمين وعلمين فإن جبريل علمنني وأمرني أن أرددهن في السجود » .

ولا شيء من هذه الأحاديث كلها صحيح ، فقد ذكر الحافظ العراقي أن حديث ابن ماجه إسناده ضعيف ، وهذا الحديث ذاته هو الذي رواه عبد الرزاق في مصنفه ، والضعف الذي ذكره العراقي يسرى اليه ، والبيهقي نفسه ضعف الحديث الذي رواه عن عائشة ؛ فلم يبق في فضل ليلة النصف من شعبان حديث معتبر .

عن الثالث — أن الناس قد تناقلوا بينهم خمس صلوات مختلفات الصفات في ليلة النصف من شعبان ، وزعم كل ذى صلاة منها أنها واردة شرعا .

فالصلاة الأولى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد ، وقد ذكر هذه الصلاة الغزالي في الإحياء ثم قال : « وهذا أيضا مروى في جملة الصلوات ، كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون بها صلاة الخير ويجمعون فيها ، وربما صلوا جماعة . روى عن الحسن أنه قال : حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة ، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة .

وهذه الصلاة لا أصل لها من عمل السلف الصالح ، ولا مستند لها من السنة الصحيحة ، فأما الحديث فقد قال الحافظ العراقي فيه : « حديث صلاة ليلة النصف باطل » . وأخرج ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات ثم قال : « هذا حديث لا شك أنه موضوع ورواه مجاهيل وفيهم ضعفاء ، إلى أن قال : « ولقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب شبكة لجمع العوام وطلب الرياسة والتقدم ، وملاؤا بذكرها القصاص مجالسهم ، وكل ذلك عن الحق بمعزل » .

وقال النووي : هذه الصلاة بدعة موضوعة منكرة قبيحة ، ولا تغتر بذكرها في كتاب القوت والإحياء .

وأما أن ذلك ليس من عمل السلف الصالح فقد قرر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز ، منهم عطاء وابن أبي مليكة ، وفقهاء أهل المدينة وأصحاب مالكا ، وقالوا : ذلك كله بدعة .

والصلاة الثانية — فيها اثنتا عشرة ركعة في كل ركعة قل هو الله أحد ثلاثين مرة . وقد أخرج حديثها ابن الجوزي في الموضوعات أيضا وقال : موضوع ، فيه مجاهيل قبل ليث وبقية فالبلاء منهم .

والصلاة الثالثة — فيها أربع عشرة ركعة ، والقراءة فيها بآيات مخصوصة من القرآن ، وقد قال في حديثها ابن الجوزي : موضوع ، وإسناده مظلم . وأخرجه البيهقي في الشعب وقال : يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعا وهو منكر وفي رواه مجهولون .

والصلاة الرابعة — فيها عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد ، أخرج حديثها ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ثم قال : مع كونه منقطعا موضوع فيه مجاهيل .

والصلاة الخامسة — ذكرها شارح الإحياء وقال : إن الخلف توارثها عن السلف وهي صلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب كل ركعتين بتسليمة . . . ثم قال : ولم أر لها مستندا من سلفنا .

عن الرابع — قال الألوسي : إن الدعاء المعروف بدعاء نصف شعبان أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « مادعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله عليه في معيشته » . وقال شارح الاحياء : لم أر للدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف من شعبان مستندا صحيحا في السنة .

ثم إن هذا الدعاء يشتمل على جل لا يقر الدين معناها ، فإن مما فيه « اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقترا على في الرزق فاع اللهم بفضلك شقاوتي وحرمانى وطردى وإقتار رزقى وأثبتنى عندك في أم الكتاب سعيدا مقبولا موسعا عليه في الرزق ، الى آخر ما قال .

والمعروف عند أهل التفسير وفي علم الكلام أن أم الكتاب هي علم الله الأزلى ، ومحال أن يتخلف علم الله تعالى ، فمن علمه شقيا لا يصير سعيدا ولا يعلمه الله سعيدا أبدا ، وإذن يحمل هذا الدعاء في ثنائه ما يدل على تكذيبه شرعا من حيث لا يشعر المفترون .

والخلاصة

أن ليلة النصف من شعبان ليست هي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، ولم يرد في فضلها ولا في إحيائها بالصلوات ولا بالدعاء حديث يعول عليه ، وأن الدعاء المشهور بدعاء نصف شعبان لا أصل له صحيحا من الدين ، والناس إنما يعملون ما يعملون اعتادا منهم على أحاديث موضوعة أو ضعيفة ، ويؤمنون أن ذلك من فضائل الأعمال . فليس إحياء ليلة النصف من شعبان شعيرة من شعائر الإسلام ، ومن شاء أن يجيبها من تلقاء نفسه فلا حرج عليه بشرط ألا يداوم على ذلك ، وبشرط ألا يفعل ذلك على هيئة أو صفة يفهم منها أن ذلك مطلوب شرعا على خصوص هذه الهيئة أو تلك الصفة . والله أعلم ؟

الصلوة في مسجد بنائه مسيحي

وجاء الى اللجنة أيضا ما يأتي :

ما قولكم في مسيحي بنى مسجدا وسلمه لوزارة الأوقاف ليؤدى المسلمون فيه الصلاة ، فأداء صلاة الجمعة وغيرها من الصلوات الخمس صحيح أم لا ؟
أفتونا بذلك على المذاهب الأربعة لتكون على بينة واطمئنان .

أحمد عبد الرؤوف

والجواب :

أداء الصلوات الخمس في هذا المسجد يصح باجماع المذاهب الأربعة ، وأما أداء الجمعة فيه فخايز على مذهب الامامين أبي حنيفة والشافعى ، وظاهر مذهب أحمد . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد مصطفى المرافى

عن الرابع — قال الآلوسى : إن الدعاء المعروف بدعاء نصف شعبان أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله عليه في معيشته » . وقال شارح الاحياء : لم أر للدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف من شعبان مستندا صحيحا في السنة .

ثم إن هذا الدعاء يشتمل على جل لا يقر الدين معناها ، فإن مما فيه « اللهم إن كنت كتبتنى عندك في أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقترا على في الرزق فاع اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى وإقتار رزقى وأثبتنى عندك في أم الكتاب سعيدا مقبولا موسعا عليه في الرزق ، الى آخر ما قال .

والمعروف عند أهل التفسير وفي علم الكلام أن أم الكتاب هي علم الله الأزلى ، ومحال أن يتخلف علم الله تعالى ، فمن علمه شقيا لا يصير سعيدا ولا يعلمه الله سعيدا أبدا ، وإذن يحمل هذا الدعاء في ثناياه ما يدل على تكذيبه شرعا من حيث لا يشعر المفترون .

والخلاصة

أن ليلة النصف من شعبان ليست هي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، ولم يرد في فضلها ولا في إحيائها بالصلوات ولا بالدعاء حديث يعول عليه ، وأن الدعاء المشهور بدعاء نصف شعبان لا أصل له صحيحا من الدين ، والناس إنما يعملون ما يعملون اعتيادا منهم على أحاديث موضوعة أو ضعيفة ، ويؤمنون أن ذلك من فضائل الأعمال . فليس إحياء ليلة النصف من شعبان شعيرة من شعائر الإسلام ، ومن شاء أن يحببها من تلقاء نفسه فلا حرج عليه بشرط ألا يداوم على ذلك ، وبشرط ألا يفعل ذلك على هيئة أو صفة يفهم منها أن ذلك مطلوب شرعا على خصوص هذه الهيئة أو تلك الصفة . والله أعلم ؟

الصلوة في مسجد بناء مسيحي

وجاء الى اللجنة أيضا ما يأتي :

ما قولكم في مسيحي بنى مسجدا وسلمه لوزارة الأوقاف ليؤدي المسلمون فيه الصلاة ، فأداء صلاة الجمعة وغيرها من الصلوات الخمس صحيح أم لا ؟
أفتونا بذلك على المذاهب الأربعة لتكون على بينة واطمئنان .

أحمد عبد الرؤوف

والجواب :

أداء الصلوات الخمس في هذا المسجد يصح باجماع المذاهب الأربعة ، وأما أداء الجمعة فيه فجائز على مذهب الامامين أبي حنيفة والشافعي ، وظاهر مذهب أحمد . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد مصطفى المراغى

كلمة تاريخية

عن المكتبة الأزهرية

- ١ -

لم تظفر المكتبة الأزهرية العامة — وهي المؤسسة العلمية الخالدة — بقسط من عناية المؤرخين فتفرد ببحث تاريخي خاص بجمع شتات هذه النبت المنفرقة في المراجع التاريخية ، وقد لا يكون هذا غريبا إذا عرف أن الأزهر وهو الجامعة التاريخية التي حملت رسالة الدين واللغة ألف عام لم تتح لها هذه الفرصة فتفرد بمؤلف تاريخي خاص يليق بمكانتها . لهذا رأيت أن أفرد هذه المؤسسة بكلمة تاريخية بقدر ما تسمحني به المراجع أتلافى بها هذا التقصير ، وقد استحسن أن أنشرها تباعا في مجلة الأزهر — إن أمكن — على أنظر من قرائها وبخاصة أصحاب الفضيلة العلماء الذين طأروا إنشاءها بمعلومات تعين على إتمام هذه الكلمة على وجه يليق بمكانة المكتبة ويرضى عنه المخلصون ، وهما هي ذى كلمتنا :

(١)

مكانة المكتبة الأزهرية

المكتبة الأزهرية العامة من أشهر المكتبات في العالم ، يعرفها أهل البصر بالكتب والباحثون عنها من الشرقيين والأوربيين ، ويشيرون إلى ما فيها من نفائس الكتب في مؤلفاتهم عن الكتب والمكتبات كبروكلان وغيره لانتسابها إلى الأزهر ذلك المعهد العتيق الذي طوى من العمر ألف عام يطاول الأيام وتطاوله الأيام ، وينزل برغم الحوادث مقاما فوق مقام ، ويهتدى بنور معارفه الدينية واللغوية المسلمون في سائر أقطار الاسلام .

والمكتبة الأزهرية ثانية دور الكتب في مصر من حيث عدد ما فيها من الكتب واحتواؤها كثيرا من نوادرها ، على أنها تفوز بالحظ الأوفر من تقدير العلماء وحسن ظهم لمساكنها الدينية وانتسابها إلى الجامعة الأزهرية .

(٢)

متى أنشئت ؟ من أنشأها ؟ كيف أنشئت ؟

من نظم الأزهر نظام الأروقة ، والرواق هو البناء الذي يسكنه جماعة من الطلبة متحدى الجنس أو المذهب ، كرواق الأتراك والمغاربة والسنارية والحنفية . وقد أنشأ هذه الأروقة أهل البر من المسلمين تيسيرا لطلب العلم وابتغاء المنوبة . وللأزهر جملة من الأروقة يبلغ عددها تسعة وعشرين رواقا ، وآخر ما أنشئ منها الرواق العباسي ، وهو أوسعها وأخفها ،

أنشأه في الثاني سنة ١٣١٥

وقد كان من تمام التيسير على طلبة العلم أن يكون للرواق مكتبة خاصة به ، تبتدىء بعدد قليل من الكتب يقفها أهل الخير ثم يتكاثر ، وعلى هذا كان لكثير من الأروقة مكتبات خاصة لا تخضع لأنظمة المكتبات التي عرفت أخيرا ، بل كان الانتفاع بها متروكا لمن ينشده من أهل الرواق أو غيرهم ، وليس في التاريخ نص صريح على أنه كان للأزهر مكتبة عامة قبل هذه المكتبة ، كما أنه يتمذر تحديد الوقت الذي نشأت فيه مكتبات الأروقة ، وكل ما يمكن أن يقال عنها : أنها قديمة أو قديمة جدا .

وقد لبثت مكتبات الأروقة على النحو الذي ذكرناه من عدم الضبط وإهمال الرقابة الى الوقت الذي أفاق فيه الأزهر على صوت مصلحه وباعث نهضته ومجدد مجده الامام محمد عبده ، فقد كان فيما تناوله تفكيره في الإصلاح إنشاء مكتبة أزهرية عامة تجمع شتات هذه الكتب المتفرقة في مكتبات الأروقة ، وتحفظ ما بقي من ذلك التراث العلمي الذي خلفه علماء الجامع الأزهر في العصور المتعاقبة من العبث والضياع . فقد ذكر بعض الباحثين (١) أن كثيرا من نفائس الكتب التي كانت مودعة بمكتبات الأروقة تسرب الى أيدي علماء أوربا بواسطة صمامرة الكتب واستغلال الجهل والضعف الخلقى في نفوس القائلين على هذه المكتبات . « فحين رثي تنظيم الجامع الأزهر وتوحيد مكتبته ظهر وهن الضمائر وضعف النفوس وإهمال الواجب نحو الكتب التي لعبت بها أيدي الضياع فتسرب بعضها وأهمل البعض الآخر للحشرات والأتربة فتلفت أوراقها وبليت ومزقت وخرمت وقطعت جلودها وأصبح لا يوجد منها كتاب سليم مستقيم إلا ما ندر . ويظهر للباحث أن كتب الأزهر قبل سنة ١٨٩٧ كانت تتسرب لمتصيديها المتربصين لها منتهزين فرصة وجودها في عهدة أشخاص . لا الجبل صدورهم وتبرأت الأمانة من قلوبهم بداعى الحاجة أو الإغراء ، فأساءوا للتعليم وخانوه جهلا أو حمدا أو تقصيرا من أولى الشأن ، فبدد هؤلاء الأشخاص ثمن ما ترك السلف ثروة للخلف من هذه الكتب القيمة . وتصرفوا فيها تصرف الملاك فباعوها مع نفاستها بالتمن البخس ، ولا أدل على مقدار ما فقدت مكتبات الأزهر في الماضي من المثال الآتى :

« حوالى سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٣ م أمر ديوان عموم الاوقاف بجرد كتب مكتبات المساجد والتكايا وأروقة الأزهر وحاراته وقيدت جميعها في سجلين جامعين ، خصص أولهما لمكتبات الجامع الأزهر ، وثانيهما لمكتبات المساجد والتكايا ، وقد بلغ مجموع المجلدات الموجودة في ذلك الوقت في مكتبات أروقة الأزهر وحاراته ١٨٥٦٤ مجلدا ، فادرجعنا الآن الى هذا السجل التاريخي فلانجد من أئمن الكتب وأنفسها إلا أسماءها ، وكأن هذين السجلين أنشأ ليكونا

(١) الأستاذ حسين عيسى في تقريره عن مكتبة الأزهر سنة ١٩٣٥

في الواقع مرشدا لأيدى الاغتيال التي عمدت الى أنفوس ما في المكتبات من المؤلفات الاصيلية القيمة فانهبتها انتهابا .

« وأغرب من هذا أن نفس السجلين تسربا أيضا الى أيد أجنبية خارج الأزهر ولم يعودا اليه إلا بالشراء سنة ١٩١١ م ودفع لها ثمن قدره ١٥٠ مليا ، وأعيد قيدهما بالمكتبة »

ويقول الاستاذ عبد الكريم سليمان (١) : « كان في الأزهر خزائن كتب وضعت في بعض الأروقة والحارات وبعضها في المساجد القريبة كجامع الفاكهاني وجامع العيني ونيط حفظها جميعها بأشخاص يقال لهم المغيرون فتصرفوا فيها تصرفا سيئا للغاية صح معه اطلاق اسم المغيرين عليهم ، لأنهم غيروا وضعها وشتتوا جمعها ، ومزقوا جلودها وأوراقها وتركوا مالا عناية لهم به منها في التراب يأكله العث ويبلية التراب ، وهذا غير ما تصرفوا فيه تصرف الملوك وصار بأيدي باعة الكتب يباع على تقاسته بالثمن البهخس ، ولم يبال المتصرف الأول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التي تفيد وقفا على طلبة العلم والعلماء ، وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة ولا لينتفع بها لعدم إمكان الانتفاع » .

لقد كان تعرض كتب الأروقة والحارات للضياع والتسرب الى أيدي المترصدين لها ممن يعرف مقاديرها هو الذي أوحى الى الاستاذ الامام بفكرة إنشاء المكتبة ، وقد تقدم بها الى مجلس إدارة الأزهر وكان ذاته قد فيه فتالت القبول من أعضائه ، وبخاصة المغفور لها الشيخ حسونه النواوى شيخ الجامع الأزهر إذ ذاك الذي وهبها مكتبته الخاصة على ما سنذكر بعد ، والشيخ عبد الكريم سليمان الذي كان عضدا قويا للاستاذ الامام في حركات إصلاح الأزهر ، ووافق عليها المجلس واختار المكان المناسب ، وكتب لديوان الأوقاف الذي كان يتولى الاشراف على شئون الأزهر لاعداة المهمة التي اختير لها ، فنفذت الفكرة فعلا من أول سنة ١٨٩٧ م الموافق شعبان سنة ١٣١٤ .

وقد لاقى صاحب الفكرة عناء عظيما في إقناع أهل الأروقة بفائدتها ، ورغم ما بذله من المحاولات في هذا السبيل فقد امتنع أهل بعض الأروقة عن ضم مكتباتها الى المكتبة العامة كرواق الأتراك ورواق المغاربة ، وقد ضمت مكتبة الصعايدة الى المكتبة العامة سنة ١٩٣٦ ، ولأقرب المباشرون للتنفيذ صعوبات جمة في ترميم الكتب وإصلاحها وترتيبها للحالة السيئة التي كانت عليها في خزائن الأروقة كما أسلفنا . ويصور الشيخ عبد الكريم سليمان هذه الصعوبة (٢) كما يأتي :

« حملت تلك الكتب من خزائنها السابق ذكرها الى ذلك المكان الجديد ، فكان يأتي

بها أولئك المغيرون محشوة في الركائب والمقاطف ثم يفرغونها تلالا وأكواما عليها خيوط العناكب وبينها الأتربة ، ويتخللها الجلود البالية ، وليس بينها من كتاب سليم مستقيم الوضع إلا ما لا يكاد يذكر ، وبجانبيها أولئك الموظفون المسكفون بجمعها وترتيبها وأعضاء المجلس والأمين يراقبون عملهم ويرشدونهم الى الطريق الأفوم ، فعملوا وكدوا واستخلصوا من بين هذه الدشوت والأوراق المنفرقة كتباً معتبرة في كل الفنون ، وكان معهم مندوب من ديوان الأوقاف وموظف آخر نيط به تقويم كل كتاب وجد أو جمع بالثمن اللائق به ، وقيدت في دفاتر بأعداد متسلسلة ، واستلمها الأمين بأنعامها المقدرة لها .

« ثم اشتغلوا بعد ذلك في توحيد الفنون ، وقرروا الشكل فن موضعاً مخصوصاً من المسكان ، وقد استغرق عملهم هذا أزماناً طويلاً كانت كلها أتعاباً ومشاق ، وإنى لأعرف كتباً كثيرة مما تجده الآن كاملاً كان الكتاب الواحد منها بعضه في خزانة فلان ، وبعضه الآخر في خزانة فلان وباقيه في خزانة فلان ، ولم تجتمع أجزاءه بعضها على بعض إلا بطريق المصادفة الحسنة ، وأعرف كذلك أن بعض المكتب النفيسة النادرة الوجود وجد في دشت كان في خزائن الجامع العيني ولم يعبأ به أحد ممن تولوا تغييرها للطلاب ، ولم يعن بفرز الدشت لتوجد تلك النفائس من أوراقي إلا بعد أن كان قد صدر أمر أحد مشايخ الجامع بأحراقه وتدارك الأمر من يعرف قيمة العلم ولا يبالي بالتعب في المحافظة عليه . وقد رأيت بعيني كثيراً من المصاحف الشريفة وهي بين الأتربة مع أنها من أجود المصاحف خطاً وورقاً وفيها من الفوائد وعلوم النجويد مالا يوجد في سواها ، وغير ذلك كثير نكتفي بما ذكرناه ، فما الغرض إلا بيان حالها قبل جمعها ، وفي هذا القدر ما يكفي . »

ولم يكتف الأستاذ الامام في تكوين المكتبة بما جمع من مكنبات الأروقة ، بل دعا العظماء والعلماء الى المشاركة في فضل تكوينها ، واستعان في ذلك بنفوذهم ومكانته لديهم ، فاستجاب لدعوته بعض هؤلاء ، ووهبها الشيخ حسونة مكتبته الخاصة ، ووهبها ورثة سليمان باشا أباطة مكتبة والدهم العظيم ، وكان المرحوم سليمان أباطة من خاصة أصدقاء الشيخ ، وكان أبناؤه يعدون الشيخ كوالدهم في العطف والرعاية . وهذه المكتبة أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية ، وسنحدث عن هاتين المكتبتين فيما بعد .

هذا ولم نثر على قرار مجلس إدارة الأزهر بإنشاء المكتبة ، ولا بمحضر الجلسة التي نظر فيها موضوع إنشائها ، وهما وثيقتان مهمتان في موضوعنا ، وجبذا لو هداانا إليهما أو أهدهما

أبو الوفا المرافعي

« يتبع »

إلينا من يعثر عليهما ؟

تطور العدالة

- ٣ -

إن شرح نشأة فكرة العدالة إنما يعنى فهم تطورها ، ولم تكن الشروط التي تثيرها غير ثابتة بل متغيرة فمن الضروري أن نعرض في مضمونها تغيراتها . ومن المعلوم أن العقل يتقدم إما باكتشاف مبادئ جديدة ، وإما باستخراج مبادئ نشأت من نتائج جديدة . ومن جهة أخرى أصبح مفهوم أن العواطف الاثرية تطورت وقويت بأنواع اللذات الجديدة التي أنتجتها الحضارة ، وأصبح مفهومها كذلك أن العواطف الاثارية تابعت في تحولها تقدم العواطف الاثرية التي تنطبق عليها ، وتقدم القوى الظاهرة التي تجعلنا ندرك أو نتصور ملذات الآخرين وآلامهم . فتطور فكرة العدالة إذن ينتج من التطور الثلاثي : من الأثرة ، والايتار ، والعقل .

وليس هناك ما يدفعنا الى أن نعتقد أن العدالة بلغت حدها الأخير . وفي الحقيقة أن العدالة - إذا بحثت من وجهة نظر خاصة - هي رد فعل علاوة على أنه طبيعي ، فهو ضد الطبيعة . ونحن لا نستطيع أن نقول سلفا الى أي حد سيمضي رد الفعل هذا . ومن الثابت أن الانسان تحت سلطان الجامعة رفض أن يعيش طبقا لقانون الوحوش . فإن الطبيعة لم تحدد أثرة الحيوانات حتى ما يعيش منها في جماعة . بل إن الحق بينها يقاس بقدر قوتها . وهذا الحق لا يحترم أبدا حياة أي كائن حيواني ضعيف ، وهذا يدعونا الى تفهم العدالة الحيوانية أو العدالة تحت الانسانية . La justice sous humaine

يتحكم في سلوك المملكة الحيوانية القانون الآتي : إن الأفراد الحيوانية التي تنفق في تكوينها الفسيولوجي مع شروط الحياة ، والتي تتمتع بأكثر الميزات ، لا تنزل بها نكبات من أي نوع ، بينما الأفراد الدنيئة التي تتمتع بأقل الميزات تنزل بها أكبر المصائب ، أو بمعنى أدق تكون ضحايا للأفراد القوية . إن هذا القانون من الوجهة البيولوجية يتضمن بقاء الأصلح ، ويتلخص في أن كل فرد يجب أن يكون خاضعا لنتائج طبيعته الخاصة وليسير السلوك الذي يفرضه عليه . ويتحكم هذا القانون في كل أنحاء المملكة الحيوانية بدون أي تحديد ، لأنه لا توجد أية قوة يمكنها أن تغير العلائق التي توجد بين السلوك والنتائج التي تنتج عنه .

ويظهر هذا القانون بعينه أو ما يشبهه في محيط آخر ، فلا يؤثر في أعضاء جنس بذاته ، ولكنه يبدو في العلاقات المتبادلة بين أجزاء كائن حي بذاته ، فكل عضل أو كل شريان يصل إلى عضو ما يقوم به من واجبات ، فالأعضاء القليلة العمل يصل إليها أقل مفسدات من

الدم، والأعضاء الفعالة يصل إليها أكبر مقدار من الدم. من هذا التوازن بين الصادر والوارد أو بين الجهود والطاقة ينتج في الوقت ذاته توازن بين الأدوار التي تنسب إلى أعضاء الكائن الحي الذي هو في مجموعه لا يمكن أن يحيا إلا بتحقيق كل عضو في مجموعه لوظائف التي يتطلبها منهم، كما أن كل عضو لا يمكنه أن يحيا إلا بتحقيق عمله.

يمكننا أن نستخلص من ذلك قانون العدالة تحت الإنسانية : كل فرد يصل إليه ميزات ويتحمل نقائص طبيعته الخاصة والسلوك الذي ينشأ عن تلك الطبيعة.

والعدالة تحت الإنسانية غير كاملة بالمرء لا في مجموعها ولا في تفاصيلها، أما أنها ناقصة في مجموعها، فذلك لأن استمرار وجود بعض الأنواع يستند على فناء البعض الآخر في جملة، وأما أنها ناقصة في تفاصيلها فذلك لأن الصلات بين السلوك والنتائج التي تنشأ عن هذا السلوك غير ثابتة، وتفسدها النكبات التي تنزل على كل الأفراد، مثل موت عدد لا يحصى من الأنواع بسبب قسوة الجو الذي يذهب بالأفراد الأقوياء كما يذهب بالضعفاء، وهناك موات أخرى لا عددها كذلك تسببها المجاعة. ثم أن هناك أنواعا أخرى كثيرة كالطفيليات مثلاتهاجم أنواعا أخرى أو تهاجم بعضها بعضا وتقضى عليها.

أما العدالة الإنسانية فلم تأخذ بتلك القوانين البدائية، بل مهدت للضعفاء معيشة خالية من كل تهجم أو ازدراء لما في قوتهم وقدرتهم من نقص عقليا كان أو جسميا، وأرغمت العدالة الإنسانية الأقوياء على احترام نواحي النشاط بل والوجود الإنساني على العموم للضعفاء. بل إن تنظيم الحرية المساوية للجماعة الإنسانية - وهي ليست إلا العدالة في أقوى صورها - مهد للضعفاء الانتاج ماديا كان أو عقليا. وكان لهذا الانتاج أثر متوسط في الجماعة، ولكنه متناسب مع قيمته. ولكن لم يقف الأمر عند هذا الحد لأنه بعد أن تخلصت العدالة الإنسانية من الطبيعة تساءل بعض المفكرين : لم لا تتابع تحريرها؟ لأنه إذا كانت العدالة الإنسانية تعتبر الموجودات الضعيفة ليست مسئولة عن ضعفها فلم لا تنتهي بتقرير مكافأة لقدرتها الضعيفة يساوي تماما أجر من يحصلون بنشاطهم السامي على أكبر الأجور؟ هذا النوع الجديد من المساواة لم يعالجه سوى سبنسر، وسبنسر نفسه يبدو أنه قبله مرة على الأقل حيث كتب في كتابه La Bienfaisance ما يأتي : « إذا كان من العدل أن تخفف بوسائل صناعية عن الأفراد المجتمعين مظالم الطبيعة، وأن نمد للضعفاء بنفس تلك الوسائل ميدانا رحبا لنشاطهم، فلم لا تسمح العدالة بأن نذهب إلى أبعد حد فنقدم من نتائج انحطاطهم المحزن إذا أمكن ذلك بوسائل صناعية؟ ». وقد ينشأ حين تتطور البشرية تطورا أقوى، إنسانية أعظم من إنسانيتنا، أفرادها أشد منا ذكاء ونشاطا، فيمتدحون لما لهم من سمو أعظم بهذا النوع من ظلم الطبيعة، ولا يقبلون أن تنزل الجماعة هذا الظلم بإخوانهم لا شيء سوى نقص مواهبهم،

ولذلك فإنهم يعوضونهم أحسن تعويض . وفي الواقع إن العدالة اليوم إنما هي جزء من أثره الأفياء . إنها تعطي لكل فرد بحسب قوته الاجتماعية ما يستحقه ، ولكن يجب أن تنتبأ باليوم الذي تنشأ فيه حضارة أقوى من حضارتنا نخشى فيها كل تلك الفروق الاجتماعية لتحقيق تلك العدالة التي يصبو اليها دعاة العدالة المطلقة المجردة .

ولكن كيف يستقيم القول ، والعدالة فكرة عقلية ، وأنها في الآن نفسه تتطور ؟ إن بعض الأخلاقيين يرون أن من الخطر أن تتغلغل في الأفكار الأخلاقية نتائج العمل الطبيعية فتفقد تلك الأفكار كفكرة العدالة مثلاً احترامها وجلالها . ولكن هذا خطأ ، لأنه يجب أن لا نتفق مع ما هو غامض ، ولا نخضع إلا لما يتفق مع ناحية من نواحي عقولنا . ومن الواضح أن فكرة العدالة فكرة عقلية محضة لا يمكننا أن نشرحها بدون أن نحققها في الوقت عينه . وقد رأينا أنها نتاج القوى الإنسانية . وهي تبحث الإنسان من حيث هو بتطلب الموازنة بين مطالبه الشخصية وميوله الإيثارية وعقله . ولا يمكن للإنسان أن يدرك العدالة إدراكاً تاماً إلا إذا رفع من قيمة الإنسانية ، ولا يمكن أن يقال لإنسان إنه عدل إلا إذا تبين أنه يحيا طبقاً لما في صميم نفسه من إنسانية جلية . وكيف يمكن إذن لمن لم يعرف مصادر العدالة أن يعالجها كفكرة عرضية ويبحثها بحثاً خالياً من كل احترام ، والعدالة ليست فكرة عرضية لأنها تتوافق مع طبيعتنا إذا لوحظت في اتجاهها العادي . أما الادعاء أنها غير مستمدة من العقل لأنها تتطور ، فهذا خطأ محض .

وتطور العدالة نفسه يثبت معقوليتها ، لأن مجهود الحياة في تقدمها هو الذي يجعل الناس ينتقلون من المطالبة بحق من الحقوق إلى حق آخر . ففي الناحية الاجتماعية تتطور العدالة من ناحيتين مختلفتين ، فتارة تعظم وتمتد بتغلغلها في جماعات إنسانية كانت أبعد ما تكون عنها . وهذا ما حدث في روما ، فقد كانت المناصب القضائية موقوفة على الأغنياء ، ولكن حدث بعد قليل أن أصبحت تلك المناصب حقاً للأكفاء ، وطوراً تقوى مضمونها وتزيد في مفهومها . فالعدالة الاجتماعية الآن كما نفهمها تضيف إلى حقوق المواطن في الدولة حقوقاً للعامل في المصنع . وفي الحالة الأولى دعى عدد كبير من الناس إلى المشاركة في حياة كانت وقفاً على الطبقة المختارة ، وفي الحالة الثانية تبين من المعاني الجديدة ما لم تكن موجودة من قبل فحققت لكل فرد حياة آمنة نبيلة . فسمو العدالة إذن من وجهة النظر الأولى يفسر تقدم الحياة في الانساع والنمو ، وفي الثانية يشير إلى تقدم الحياة في التعمق والتأمل الصحيح . فسمو العدالة تحت هاتين الوجهتين من النظر ، يعبر عن تطور الحياة ؟

على سامي النشار

ماجستير في الفلسفة

قدامة بن جعفر

ومدرسة النقد الأدبي - عرض وتحليل لكتابه « نقد الشعر »

- ٣ -

أول كتاب من نوعه :

يعترف الكاتبون جميعا بعد البحث والدرس أن هذا الكتاب أول كتاب من نوعه ويدعون بذلك لقول صاحبه في أوله : « ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتحليله من رديته كتابا » ، وقوله بعد قليل : « فأما علم جيد الشعر من رديته فإن الناس يخطئون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم ، فقليل ما يصيبون ، ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب ، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع » .

ويقول الدكتور طه حسين عن الكتاب : « ونحن عند ما نقرؤه نحس من أول فصوله أننا بازاء روح جديد لاعد لنا بمثله من قبل » ، ويقول الأستاذ جورجى زيدان في كلامه عن النقد : « ثم جاء قدامة بن جعفر فأفرد لذلك كتابا خاصا سماه (نقد الشعر) ، وهو أول من فعل ذلك » ، ثم يقول بعد ذلك : « لئلا يختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدأ بعمل جديد » ص ٢٤١ ج ٢

سبب وضعه :

ومما تقدم آنفا نستطيع معرفة السبب الذى حدا به الى تأليفه ، فهو العلم بملأ صدره والمبقرية تأبى الإبراز جواهرها ، وإباحة فرائدها ، فقد قام بهذا العمل حرصا على أبناء عصره أن تضع أوقاتهم في البحث ، وشغفا بالعلم ، وسلوكا لسبيل الافذاذ من رجال العلم والأدب . وجولة في أفنية الكتاب تعطينا أنه وضعه بحافز الرغبة في العلم ، وتمحيص مسائله ، وتحليل بعضها من بعض ، ولذلك علل تأليفه بتقصير العلماء في وضع كتاب في موضوعه الخاص ولم يعمل على سؤال سائل أو إلحاف ملحف .

موضوع الكتاب :

يبدأ قدامة بتعريف الشعر بقوله : « إنه قول موزون مقفى يدل على معنى » . ثم يذكر المحترزات بأسلوب منطقي جاف ، ويخرج من ذلك الى أن الشعر مراتب ، وأن الشعراء يجب ترتيبهم بحسب الجودة والرداءة في شعرهم ، ثم يعقب ذلك بأن من الواجب بعد ما تقدم تبين حدود كل مرتبة وبيان مداها ، حتى يقف كل إنسان على حقيقة الجيد والردى . والوسط .

قاعدتان للنقد : وقبل أن يدخل في صميم البحث يضع قاعدتين هامتين أراهما من أعظم الأدلة على رجاحة عقله وعدالة ميزانه ، وأنه حين يتولى الحكم في محكمة النقد إنما ينظر بمصباح الروح الشعرية فقط ، ضاربا عرض الحائط بما سوى ذلك من أمور .

الأولى : تقرير الحرية المطلقة للشاعر ، فلا يحجر عليه في أى معنى يريد الكلام فيه ، لأن المعانى مواد صناعة الشعر ، فله أن يأخذ أيها شاء ، سواء حميدها والذميم منها ، إنما الذى يطلب من الشاعر هو الإجادة في شعره ، فقد يجيد في المعانى القبيحة ، وقد يضعف في المعانى الكريمة .

الثانية ، وهى مترتبة على الأولى : أن للشاعر أن يناقض نفسه متى شاء ، فيمدح شيئا ثم يذمه ، ويقرر مذهبا ثم يرفضه مادام يحسن المدح والذم جميعا ، بل كان يحض على هذا المعنى حين يقول « بل ذلك عندى بدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها » (ص ١٤) .

وتطبيقا لهاتين القاعدتين ينقد من خرج عليهما ، وسنعرض لذلك بعد ، على أنه لاتناقض بين قوله في القاعدة الأولى وكلامه الآتى في الاستحالة والتناقض ، لأنه غاب التناقض هناك إذا كان من جهة واحدة ، أما من جهتين أو أكثر فلا عيب فيه .

بعد ذلك يخرج بنا قدامة إلى مقدمات منطقية طويلة يرمى بها إلى تحديد النواحي التى يبحث عنها فى الشعر ، ويصل من ذلك إلى أنها ثمانية : أربعة مفردات وهى اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وأربعة مركبات هى ائتلاف اللفظ مع المعنى ، واللفظ مع الوزن ، والمعنى مع الوزن والمعنى مع القافية ؛ ثم يذكر أن لكل من هذه الثمانية نعنا وعيبا ، ويعنى بالنعنات الحسن والجمال ، ثم يتكلم بالترتيب على نعت كل منها ، ثم على عيوبها على الترتيب ، ويستشهد لكل ما يقرره بالشعر وصرات بالنثر من القرآن والحديث وكلام البلغاء .

ومما يدل على صدق نظره أن الباحث فى كتابه قلما يخالفه فى رأيه ، وإن خالفه فلن يعدم له وجهة مقبولة . وسنعرض لذلك بتفصيل عند ذكر ما أخذ العلماء عليه .

ومما يلاحظ أن الكتاب لم يستشهد كثيرا بشعر المحدثين ، بل كذلك نجد قلة فيمن ذكره من الشعراء الإسلاميين ، ولعل لذلك علاقة بأن الكتاب جديد فى بابه فلم يستوعب ، وبأن كثيرا من العلماء ينصبون على المحدثين ولا يقبلون شعرهم ، وقد يكون سبب ذلك أن قدامة تشبع بروح أستاذه أحمد بن يحيى المعروف بشعلب ، فانه كان شديد الاهتمام بالشعر القديم ، ولذلك كان ثقة فيه .

مذهبه فى الشعر : ومن الممكن أن نلتبس من ذلك مذهبا شعريا لقدامة ، هو أنه لا يروقه من الشعر إلا ما مثل الشعور والوجدان بحق وكان غير متكلف ، وهذا المعنى يوجد

بوفرة في الشعر القديم ، أما المحدثون فشعرهم مصنوع لا يصدر عن شعور النفس وإحساسها . وقد كان القدماء يقولون : الشعر استجابة لنداء الشاعرية التي طبعوا عليها . ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا قلائل كالنابغة والأعشى . وربما كانت في تقرير المبدئين السابقين في نقد الشعر إشارة إلى هذا وتقرير لمذهب شعري جديد ، إذ رأى الناس يدخلون الدين والأخلاق والعادات في حكمهم على الشعر مع وجوب النظر إليه بمنظار شعري بحت .

ولئن صح هذا لكان لقدامة أن يحاسب من وراء الغيب بعض المعاصرين الذين يذيعون أن هذا المذهب ابن النجديد في العصر الحديث .

أغراض الشعر ومذاهب المتقدمين فيها :

أغراض الشعر بلا شك كثيرة ، ومعانيه التي يقال فيها متعددة ، ولكن نظرة إلى الوراء تربنا أن أبا تمام المتوفى سنة ٣٣١ هـ وهو شيخ السكاكين في هذا رتب كتابه الحماسة على عشرة أبواب هي أغراض الشعر في نظره ، وهي : الحماسة ، المراثي ، الأدب ، التشبيب ، الهجاء ، الأضياف ، الصفات ، السير ، الملح ، مذمة النساء .

ثم جاء البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ فجمع كتابه الحماسة وعد فيه ١٧٤ غرضاً جعلها في مثلها أبواباً ، وأمام هذه السكثرة الهائلة وقف قدامة ويده مجهر النقد وصوبه نحوها فوجدها متداخلة تداخلاً شديداً ، على أنه لم يعم بما وصل إليه في هذه الناحية واقتصر في كتابه على الأغراض التي هي على حد عبارته (ص ٣٥) « الأعلام من أغراض الشعر وما هم (أي الشعراء) عليه أكثر حروماً وإليه أشد روماً » .

على أننا لو حاسبناه حساب المنطق لوجدنا أن باب المراثي يدخل في باب المدح ، وأن لا فرق بينهما سوى أن الممدوح حي يرزق والمرثى في بطن الثرى . وقد ذكر ذلك بنفسه (ص ٦١، ٥٩) . وكذلك نجد أن باب النسيب يدخل في باب الوصف وباب المدح ، وقد أشار في كلامه إلى تخصيص المدح بالرجال وأن للنساء باباً خاصاً بهن هو النسيب مما يؤيد وجهتنا هذه . وكذلك نرى أن التشبيه يوجد في جميع الأبواب بل هو من ضروراتها فليس قسماً مستقلاً .

وأياً ما كانت المذاهب فمن الصعب جدا الفصل بين أغراض الشعر بمحدود مرسومة ، وبكفي قدامة نفراً أنه أدرك ذلك . ويجب أن يلاحظ أن تقسيمات أبي تمام والبحترى وقدامة لأغراض الشعر وترتيبها على النسق الموجود في كتبهم إنما كانت بحسب الأهمية في العصر الجاهلي أو عند العلماء الأول ، لأن هذا الترتيب لا يوائم المصور التي جاءت بعد ذلك .

آراء قدامة في بعض الأغراض :

المدح والهجاء : يرى قدامة أنه لا يجوز لشاعر أن يمدح شيئاً بغير ما ينبغي أن يمدح به ، ويعجب كل الإعجاب بقول الفاروق رضي الله عنه في شأن زهير : « إنه لم يكن يمدح

الرجل إلا بما يكون للرجال ص ٢٨ ، ويرى أنه يجب أن يتفاوت المدح بحسب المدوحين فيمدح الملوك بغير ما يمدح به الوزراء ، وهؤلاء بغير ما يمدح به أوساط الناس وعامتهم وهكذا . وكذلك يوجب في الهجاء ، وكل هذا نتيجة تشبعه بالمنطق وتمكن الفلسفة من أفكاره . ونتيجة لهذا أيضا تراه يحدد ما يمدح به الناس من الناحية الانسانية المحضة فيقرر أن أولى الأبواب اتفقوا على أن الفضائل التي يمدح بها أربعة ، وهي العقل والشجاعة والعدل والعفة ، وأنه يتركب منها فضائل أخرى ، ثم يبحث بحثا فلسفيا طويلا كي يرجع أكثرية الفضائل أو كلها إلى هذه الفضائل المقررة والمركبة مما لا داعي لذكره ؛ ويرى قدامة أيضا أنه لا يجوز المدح ولا الهجاء بالجمال والدمامة الطبيعيين ، وأن الواجب على المادح أو الهاجي أن يتجه إلى الفضائل النفسية والمذام الخلقية لا الخلقية ، وقد تعرض للرد عليه في هذا العلامة ابن سنان الخفاجي (ص ٢٥ سر الفصاحة) وحمل عليه حملة شعواء ، ونقل عن الآمدى كلاما سيئا . ولعل لقدامة وجها من الصواب في هذا ، فهو رجل فيلسوف امتلأ قلبه بالحقائق وإشار العدالة ، فإذا أتى به صاحب الوجه الجميل أو الجسم الرشيق حتى يمدح عليه ؟ فيجب أن يكون المدح على الأعمال الايجابية التي يأتيها الإنسان ، وكذلك الهجاء حتى يكون المدح أو الهجاء حافزا على عمل الخير واجتناب الشر . والواقع أن هذا مذهب اجتماعي جذير بالنظر والوقوف عنده ، وحبذا لو تغذاه الأدباء والشعراء في كل عصر حتى تقتلع جذور النفاق وينعم العالم بحياة اجتماعية طاهرة من عوامل البهرج والرياء .

الغلو : تفرد قدامة أيضا بأنه يفضل الغلو فقال (ص ٣٧) : « إن الغلو عندي أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أعذب الشعر أ كذبه » ولهذا لما طاب قول أبي نواس في الأمين :

يا أمين الله عش أبدا دم على الأيام والزمن

بأنه ممن الممتنع وجوده ، قال (ص ١٢٥) : « ولعل معترضا يعترض هذا القول منا في هذا الموضوع فيقول إنه مناقضة لما استعجزناه ورأيناه صوابا في صدر هذا الكتاب من الغلو ويجعل قول أبي نواس هذا غلوا فيلزمنا تجويزه كما يلزمنا تجويز الغلو . ونحن نقول : إن هذا وما أشبهه ليس غلوا ولا إفراطا بل خروج عن حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع ، لأن الغلو إنما هو تجاوز في نعمت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجا عن طباعه ، وليس إلى ما لا يجوز أن يقع له لأن الذي يكون قلنا إنه جائز . » وقد أيده ابن سنان الخفاجي في هذا الرأي (ص ٢٥٦) حيث قال : « والذي أذهب إليه المذهب الأول في حد المبالغة والغلو لأن الشعر مبني على الجواز والتسميح » وسيأتي لبعض العلماء الرد عليه في هذا .

عبد السلام أبو النجاة سرحان
تخصص البلاغة والأدب

تحديد النسل

غنى عن الحوار والجدل أن موضوع البحث في تحديد النسل موضوع هام شغل بال المفكرين وقادة الرأي من زعماء الاجتماع ، ورجال العلم والفلسفة .

والشباب المثقفون اليوم إذ يريدون أن يدرسوا هذا الموضوع من ناحيته الاجتماعية ، يرون لزاما عليهم أن يستعرضوا نواحي عديدة ، للدين والاقتصاد ، وتأثير الكثرة في قوة الأمم ، وقبول البيئة الطبيعية لزيادة الأحياء فيها .

يؤيد العلامة « مالتوس » الاقتصادي الأنكليزي نظرية التحديد في ناحيتها الاجتماعية فيقول : « إن موارد الخير والرزق محدودة بحد لا تزيد عنه ، فيجب أن يكون عدد السكان في حديتفق وتلك الموارد والأرزاق » . وغاب عن مالتوس أن الأرض لم تستغل الى الآن الاستغلال الجدير بها ، فأكثر البقاع لا تزال سهولا مترامية الأطراف ، وقد بلغت الوسائل العلمية الى حدود بعيدة تمكن المستعمرين من استصلاحها واستغلالها بحيث تزيد المحصولات مما هي عليه أضعافا مضاعفة . وهذه الأرض التي تستغل الآن في مصر ، لو زرعت زراعة علمية لانتجت ضعف محصولاتها الحالية بل أكثر من ذلك .

حقا إن من غرور العقل أن يشرع رجل لمستقبل الانسانية ، وأن يتنبأ بعصاير الحياة الاجتماعية ، فيطمح الى أن يحدد نسل بنى الانسان تحديدا يتناسب مع قوات الانتاج المضمرة في عالم الغيب والمجهولة للعقول .

وإذا نحن ألقينا نظرة سريعة على بعض آى القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجدنا أنها تنص صراحة على عدم التحديد مهما كان الفقر مدقما ، ومهما كان القحط نازلا . قال الله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا » . فلينظر أولئك كيف أن الله تعالى قد أزم نفسه برزق عباده ، مسلمهم وكافرهم ، غنيهم وفقيرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، ولنسمع كيف صرح رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فأنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » . وفي حديث آخر يقول : « استكثروا من أولادكم فأنكم لا تدرون بمن ترزقون » ، وفي آخر يقول : « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » . ألم تركيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء من النساء كنيرة الحل والوضع على غيرها العقيم ، وكيف حث أمته على الإكثار من النسل على يكون خيرا على الآباء ، فتحيا الأصول حياة النعيم والخلفاء ؟

وإذا نظرنا الى هذه المسألة من ناحية وطنية بمحنة نجد أن أمن الأمة وسلامتها مرتبطان

بكثرة أفرادها . فالأم القليلة الأفراد لا تستطيع الدفاع عن حوزتها أمام أغوال الاستعمار من الأمم القوية مهما كانت درجتها رافية من الناحية العلمية والأدبية والصناعية ، فتكون في حاجة دائمة إلى حماية الأمم الكبيرة . وقد لاحظ الإسلام هذه الحاجة الاجتماعية فأمر بالاستكثار من النسل . وما دام للأمة مدد لا ينضب من الرجال ، فيبعد أن تقع فريسة صاغرة لأمة أخرى إلا إذا تفرقت كلمتها ، وتدارت قلوب آحادها .

طالعنى إحدى الصحف بمقال يئن كاتبه من ازدياد عدد السكان في مصر خلال العشر السنوات الأخيرة بنسبة كبيرة على حين أن موارد الرزق لم تزد إلا بنسبة ٨ في المائة ، ولهذا يخشى ما يتوقع أن يكون من أزمة ازدحام في مصر ، وتلك حالة آلمته أشد الآلام ، ودفعته للبحث في وسائل الحد من هذه السكثرة ؛ ولم يدر أن مصر في مستقبلها الزراعى أو الصناعى تستطيع أن تتحمل مالا يقل عن خمسين مليون نسمة ، إذا أصلحت الأراضى القابلة للإصلاح فيها حتى تتسع مساحة المزروعات فتغذى مصر أهلها وتزيد عن حاجتهم .

إن الأمم الغربية الراقية لم يدرج اسمها في سجل الدول القوية إلا لما بلغت من عدد السكان حدا يؤهلها لأن تحتل مكانها بين الجماعات الممتازة . وكثيرا ما قرأنا أن هذا الأمم على كثرة آحادها تنشط الأمر على الاستكثار من البنين ، وتحزل المكافآت لما تنجب منها أكثر أولادا . ذلك لما رأوا من أن كثرة النسل عامل هام من عوامل بناء مجد الوطن ورفعته شأن البلاد .

والبحث في تحديد النسل من ناحيتيه الاجتماعية والاقتصادية لا تؤثر فيه وجود حالات خاصة يحسن فيها تحديد النسل للمتورطين فيها . ولا أدل على ذلك من تصريح كاتب جليل القدر هو « لطفى السيد باشا » إذ يقول : « لست أرى دخلا كبيرا للمسائل الاجتماعية في مسألة فردية مشروطة بحالة مرضية ، إنما يبحث الاجتماع فيما يسمونه بالأحداث الاجتماعية التى تحدث من جميع الأشخاص أو من كثيرهم وتكرر . أما أن امرأة حبلى يخشى على حياتها من استمرار الحمل فتلك مسألة شخصية بحتة » . وقد اعتبر أن تحديد النسل فعلة شنعاء وجريمة لا تغتفر فقال : « إن هذا يعتبر في عرف الاجتماع إنما كبيرا تنبئ معالجته بكل صور المعالجة ، وأهمها التربية على مبادئ الفضيلة ، لأن الفضيلة تأبى هذا الخلق الذى أقل ما فيه أنه أثره وذن على المجتمع بتأدية الواجبات المفروضة بمقتضى أوامر الطبيعة » . وقد أدلى سعادته بعبارة وأدعة طريفة حقة لما سأل بعض الصحفيين قائلا « إن بعض الناس يخشى الفقر والعوز ، فيفضل أن يحرم نفسه وزوجه كثرة الأولاد » . لجأ رده كريما غاية في الهدوء والتسليم وحسن الظن إذ قال في خشوع وتفكير : « الله يرزقهم وأولادهم » !

محمد محمد فتح الله السبح

بالسنة النهائية بقسم التخصص

محمود سامي البارودي

- ٢ -

دعائم الزعامة البارودية

ما هي نواحي الزعامة البارودية ؟

الشعر : ألفاظ وأساليب ، ومعان وأخيلة ، وأغراض وأوزان .

فأما ألفاظ شعر البارودي : فهي ألفاظ خفلة جزلة قوية بريئة من عنجبية البداوة ووحشية.

وأما أساليبه : فهي أساليب عربية قوية ، متينة الأسر ، رصينة السبك ، تطالع فيها قوة الجاهليين ، وعذوبة الاسلاميين ، ودقة العباسيين ، ورقة الحضارة المصرية ؛ وكلا هذين - الألفاظ والأساليب - أوحى بهما ولوعه بأشعار هذه العصور جميعا وإعجابه بها وتعلؤه من محفوظها تملأ ملك عليه حواسه ، وسرى في مشاعره ، وتغلغل في دمائه ، وحل من نفسه محل النفس ، فنضح كل أولئك على شعره نضوحا سلكه في نظام شعراء تلك العصور ، إشراق أسلوب ، ورقة ديباجه ، ونخير ألفاظ ، ونسجا عبقريا منمنا افتنت في تحبير كل أولئك الأيادي الصناع ، حتى انقطعت صلته انقطاعا تاما بمتعارف شعراء عصره ، ولا ريب أن هذه إحدى دعائم الزعامة البارودية الشعرية .

فأما الاخيلة والمعاني : فقد دارت بين توليداته العجيبة في معاني هؤلاء السابقين وأخيلتهم وبين ما أنارت له أحاسيسه المصرية الخاصة وهي ، بين مولدة ومخترة ، آية القدرة ، وسماد الفن ، ومظاهر العبقرية مما انقطع عنه ، أو عما دونه بكثير طموح شعراء عصره . وهذه هي الدعامة الثانية من دعائم الزعامة البارودية الشعرية .

وأما أغراضه : فقد سار البارودي في طريقة الشعراء القدامى ، وحطم القيود والأغلال المصرية ، ففخر ووصف ، وشكا وحن إلى الوطن ، وتغزل ومدح ، وهجورثي ، وقال في السياسة ، وعالج جميع الأغراض التي عالجوها .

وليس البارودي في جميع الأغراض التي تناولها في شعره بمنزلة سواء ؛ برز البارودي في الفخر والتمدح بشماله ومجده وصفاته الفذة ، فأجاد إجادة منقطعة النظير ، لأنه في نغره كان يتمتع من معين فياض من عواطفه التي تثيرها بيئته وبيته ، ومواقفه في البطولة وفي المناصب وفي شرف النفس وعلو الهمة ، وفي الطموح إلى الغاية التي لا يرمى إليها إلا الأفذاذ النادرون من قواد العالم .

وقد تضمن ديوانه من قصائده الفخرية الكثير الذي تتراعى في تضامينه مواطن سجد

الشعراء ؛ استمعوا اليه يقول من قصيدة ، وإن تبلغ الذروة التي وصل اليها غيرها ، ولسكننا
آثرناها لأنها جمعت بين نغمة بيبانه وبين نغمة بسنانه :

أنا مصدر الكلام النوادي	بين الحواضر والبوادي
أنا فارس أنا شاعر	في كل ملحمة ونادٍ
فاذا ركبت فأننى	زيد الفوارس في الجلال
وإذا نطقت فأننى	قس بن ساعدة الايادي
هكذا وذلك ديدنى	في كل معضلة نأدٍ

وبرز البارودي في وصف المواقع الحربية وما تحتويه من قعقة السلاح ، ومهمة الخيل ،
وثران العنبر ، ونهاوى السيوف ، واعتكار الأفق ، ومسائل الدماء ، ومصاغة الختوف ،
ومبادرة الصفوف ، وما الى ذلك مما يتصل بها ويكشف عن مشاهدتها ، لأنه إنما كان يصف
مشاهده هو ، ومغامراته هو ، ويتغنى بأجداد كان أسد عرينها وقطب رحاها ؛ ومن هنا سر
عظمته الشعرية فيها وإعجازه الذي لا يستطيع ناقد محترم الرأى مهما أوتى من قوة الحجة وسطوع
البيان أن يعارض في أنها من الفخر الشعري في الذرا والمقدم ؛ استمعوا اليه يقول من
قصيدة طويلة بعث بها الى أستاذه الموصفي سنة ١٢٩٤ ، يصف الحرب الروسية ، مطلعها :

هــو البين حتى لا سلام ولا رد	ولا نظرة يقضى بها حقه الوجـد
أدور بعيني لا أرى غير أمة	من الروس بالبلقان يخططها العدـد
جـواثر على هام الجبال لغارة	يطير بها ضـوء الصباح إذا يبدو
إذا نحن سرنا صرّح الشر باسمه	وصاح القنا بالموت ، واستنقتل الجند
فأنت ترى بين الفريقين كنبـة	يحـدث فيها نفسه البطل الجعد
على الأرض منها بالحد ماء جداول	وفوق سراقـة النجم من تقعها لبـد
إذا اشتبكوا ، أوراجعوا الزحف خلتهم	بحـورا توالى بينها الجزر والمد
فهم بين مقتول طريح ، وهارب	طليح ، ومأسور يجاذبه القيد

الى أن قال :

ونقع كلج البحر خضت غماره	ولا معقل إلا المتناصل والجرد
صـبرت له والموت يحمر ناره	ويشفل طورا في المعجاج فيسود
فما كنت إلا الليث أنهضه الطوى	وما كنت إلا السيف فارقه الغمد
صنول ، وللأبطال همس من الوئى	ضروب ، وقلب القرن في صدره يعدو
فما مهجة إلا ورحى ضميرها	ولا لبـة إلا وسيفي لها عقد

وبرز البارودي في الشكوى والحنين الى الوطن ، شكوى الأسد المعتقل ، شكوى البطل الجريح ، جريح النفس والفؤاد ، لاجريح الجسم والجسد .
اشتكى البارودي وأن ، وليس مثيرا للحزن ولا باعنا للشجن ولا مدرا لضوان العيون أخرج من شكاة العظيم حيل بينه وبين ما يشتهي ؛ ومن أنين الأسد وضع في الأسار وقيد بالأغلال .
برز في الشكوى ، وبرح به الحزن والألم ، لبرح ما أصابه من تغلب خصومه ثم من غمط حقوقه ، ثم من نوم مواطنيه عنه وإفراده في جزيرة نأت به عن مسارح صباه ، ومرابع لهوه وهواه ، ومباءة أبنائه وأسرته ، وجمع الآف وأحبته ، فكانت شكانة أنينا يفيض به قلبه ، وحنينا تنفجر به عواطفه ، ودموعا جفت من عينه فأمدتها فؤاده بها متفرقة لؤلؤية منظومة في سلك كلامي هو السلك الذهبي ، ولكنه فوق الذهب وفوق ما هو أسمى من الذهب ، فهو فيها ليس شاعرا ينشئ شعرا ، ولكنه قلب موجه يسيل المأمضا ، وحزنا فاجما ، ولوعة جامعة الأوار ، ولعل أصدق الشعر ما فاض عن الشعور ؛ استمعوا اليه يقول :

هل من طبيب لداء الحب أوراق يشفي عيلا أذا حزن وإراق
قد كان أبقي الهوى من مهجتي رمقا حتى جرى البين فاستولى على الباقي
حزن براني ، وأشواق رعت كبدي يا ويح نفسي من حزن وأشواق
أكلف النفس صبرا وهي جازعة والصبر في الحب أعياء كل مشتاق
لا في « سر نديب » لي خل ألذ به ولا أنيس سوى همي وإطراق
أبيت أرعى نجوم الليل مرثقا في فنة عز مرقاها على الراق
الى أن قال :

ياروضة النيل لامستك باثقة ولا عدتك سماء ذات إغداق
ولا برحت من الأوراق في حلق من سندس عبقرى الوشى إراق
الى أن قال :

أصبو اليها على بعد ويمعجني أنى أعيش بها في ثوب إسلاق
الى أن قال :

فلا يعنني حسود أن جرى قدر فليس لي غير ما يقضيه خلاق
أسلمت نفسي لمسولى لا يخيب له راج على الدهر والمسولى هو الواق
وهون الخطب عندي أننى رجل لاق من الدهر ، ما كل امرئ لاق
لا جرم أن البارودي قد برز في هذه الأغراض الثلاثة من أغراضه الشعرية تبرزنا تلاقت في تقويمه الصناعة والطبع ، وإذا تلاقت الصناعة والطبع كان التفوق والإعجاز ، وهذه ثلاثة الأثافي ، أو قولوا إن شئت ثلاثة دعام زمامته الشعرية ، ولعلها أسماها وأقواها ما

مَجْنَلُ الْفَلَسْفِيَّاتِ

استخراج الحساسية الانسانية بعيدا عن الجثمان وإثبات وجودها بآثارها المحسوسة

نحن فيما نكتبه عن الخصائص الانسانية التي يجهلها أكثر الناس ، إنما نعتمد على ما كشفه العلم بأسلوبه المعروف من التجارب المنكررة ، والتحقيقات المدققة ، مستمدة من تقارير علماء مسئولين من أقطاب المعارف اليقينية ، وهي خصائص تدحض النظريات المادية دحوضا حاسما ، وأساس الدين الاعتقاد بالروح وخلودها في عالم وراء هذا العالم ، وبالثواب والعقاب فيه ، ولا سبيل الى هذا الاعتقاد إلا بأدلة قاطعة ، وبدحض الشبهات التي تثار ضده ؛ وقد غصت بها في هذا العصر الكتب والمجلات ، وأخذ بها قوم توهموا أن الالمية كل الالمية هي الاعتقاد بأن الانسان والحيوان والنبات والجماد سواسية في تجرع كأس الفناء . فكيف لا يتعقب حماة الدين ، ودعاة الحياة الفاضلة ، والآداب النفسانية النبيلة ، نظريات هؤلاء المنكرين بالتحطيم لا بالمنطق ولا بالتحقير ، ولكن باسم العلم التجريبي الذي يدين به أولئك المنكرون أنفسهم ، ويدين به مقلدوهم في جميع بقاع الارض ؟

قلنا في العدد السابق إن الماديين يعتقدون بأن ليس في الجسد الانساني شيء متنزل عليه من عالم غير العالم الأرضي ، وأن كل ما فيه من إحساس وشعور وتعلقل وتفكر ناشئ من قيامه على الحال التي هو عليها من دقة التركيب ، وكال التكوين ؛ فأوردنا لهم ما أثبتته جمهور من العلماء الطبيعيين من أن في الانسان قوى قد تنتقل من جثمانه ، وتؤثر فيما حولها تأثيرات مادية محسوسة لا يمكن نكرانها بوجه من الوجوه . واليوم ننتقل بالقراء الى ما قرره العلماء الباحثون في الانسان من أنهم تمكنوا من إخراج حساسيته بعيدة عنه ، وأثبتوا ذلك بتجارب حاسمة لا يمكن التشكك فيها .

من مشهورى الذين بحثوا هذا الموضوع العلامة الرياضى المشهور البير دوروشا A. de Rochas مدير كلية الهندسة الفرنسية بباريز . فقد عمد الى شخصين فأنام أحدهما وأسماه (أ) وأمره أن يخبره عما يحدث للثاني وهو (ب) فبدأ الاستناد بفحص الاحساس الجلدى لهذا الأخير قبل أن ينومه فوجده طبيعيا ، ثم سأل المنوّم (أ) عما يرى منه . فقال إنه يرى جثمانه مغطى بوبر نورانى . فشرع الاستناد في تنويمه ؛ فلما نام سأل المنوّم (أ) عما يرى ؟ فأجاب : أن الوبر النورانى قد زال عنه ، وفي الوقت نفسه فقد المنوّم شعوره .

وبعد قليل ماد اليه النور الذي زال عنه ولكن على صورة ضباب خفيف ، ثم أخذ في التكاثر حتى صار كأنه طبقة نورانية فوق بشرته الجسمية متباعدة شكلها ارتفاعا وانخفاضاً ، وموازية لها على بعد ثلاثة أو أربعة سنتيمترات منها . فرأى الأستاذ دو روشا أنه إذا أثر في تلك الطبقة التي يراها المنوّم (١) ولا يراها هو ، انتقل ذلك التأثير الى جثمانه ، وأحدث فيه رد الفعل الذي يحدثه لو كان تأثيره واقعا عليه مباشرة ؛ وفي الوقت نفسه يفقد جلده إحساسه فلا يتأثر بشيء ، مما يدل على أن إحساسه قد خرج الى أبعد من ظاهر جسده ، ولم يبق فيه منه شيء .

فاذا زاد المجرب مغنطة المنوّم (ب) الى درجة عالية ، رأى الشخص الثاني وهو (١) أن قد تكون حول جسمه طبقات نورانية عديدة متوازية ذات مركز واحد ، يبعد بعضها عن بعض مسافات متساوية أى نحو ستة أو سبعة سنتيمترات ، وتنعاقب بانتظام الى أن تصل الى نحو مترين أو ثلاثة أمتار من المنوّم . وقد شوهد أن حساسية هذه الطبقات تقل كلما بعدت عن الجسم .

فاذا وضعنا كوباً من الماء في إحدى هذه الطبقات النورانية ، اكتسب الماء صفة فوسفورية ، فتراه يتألق نورا اذا نقل الى جو مظلم . وإذا لمس سطحه حدث في جسم المنوّم ، مهما كان بعيداً عنه ، رد فعل مناسب لدرجة التأثير الواقع على الماء . ومعنى هذا أن هذا الماء بحساسة لبعض هذه الطبقات النورانية ، قد اكتسب جزءاً من حساسية جسم المنوّم . وبعد مضي مدة تزول هذه الحساسية من الماء .

فاذا تمادى المجرب في تجاربه ، ووضع في منطقة الطبقات النورانية المحيطة بالجسم ، مادة كيميائية من خصائصها إحداث رد فعل إذا وضعت على البشرة مباشرة ، شوهد أنها وهى بعيدة عن تلك البشرة تحدث آثارها الطبيعية عليها كأنها لامستها فاذا وضعت في تلك المنطقة النورانية مادة الجابوراندى أدت الالعاب وأحدثت عرقاً . وإذا وضع فيها الأميون أحدث النوم ، وإذا وضع الفالريان والايبيكا والاميتيك والابومورفين ، أنتج كل منها النتائج العلاجية الخاصة به .

قال الدكتور لويس Dr. Lwys في كتابه : (الظواهر الناتجة بفعل العلاجات عن بعد)

Phénomènes produits par l'action des médicaments à distance :

بعد أن جرب هذه الظواهر في مستشفى الاحسان بباريس :

« إننى حيال هذه الظواهر المحسوسة الواضحة المضبوطة ، التي شهدتها بنفسى كثيراً ، من التأثير عن بعد على الأعصاب الحشوية في أشخاص ، استطعت أن أوجد لهم الغثيان ثم القيء بوضعى ف ريباً منهم أنبوبة تحتوى على مادة الايبىكا ، وأن أسبب لهم ميلاً الى التبرز بوضعى على أعناقهم أنبوبة تحتوى على عشرين غراماً من زيت الخروع ، قلت إننى حيال هذه الظواهر المدهشة لا أتردد عن الاعتراف بأننا حيال سلسلة ظواهر غريبة ، تحدث خارج منطقة القوانين الطبيعية وآثارها المادية ، وهى ظواهر تناقض كل ما نعرفه من خواص المواد الكيميائية . »

وقال الدكتور (ووتى) فى كتابه العلم والمذهب الروحى : « من المدهش أن هذه المواد الكيميائية لا يعرفها قط عائق عن إيجاد آثارها ؛ فانها تخترق الاجسام الصلبة مع حفظ جميع خواصها الطبية . ودلينا على ذلك أن هذه المواد وضعت فى زجاجات ولحمت فوهاها على النار ، ولما وضعت فى منطقة الطبقات النورانية ، ظهرت آثارها العلاجية على كمالها . ذلك لأن الحساسية التى خرجت من الجسم استطاعت أن تنفذ من خلال الزجاجات الصلبة التى اشتملت عليها وأن تتأثر بها . »

نقول : هذه مشاهدات ثبتت بمقتضى دستور البحث العلمى فلا يمكن التماهى فيها ، وهى إذا كانت لا تثبت وجود الروح من طريق مباشر ، فإنها تهدم أكبر أصل فى المذهب المادى ، وهو عدم وجود شئ فى الجنان البشرى مستقل عنه ، وأن إحساسه وشعوره وعقله أيضا صفات لأعصابه ، لا قوى مستقلة عنها يمكن أن تزايلها فتدعها بلا حساسية ، فإذا عادت إليها عادت حساسيتها . فالتدليل علميا وتجريبيا على أن الحساسية البشرية قوة مستقلة عن الأعصاب ، يعتبر نفرة لا يمكن سدها فى جدار المذهب المادى . وبشبهت هذه الحقيقة يسهل القول بأن الروح قوة قائمة بذاتها تحل بالجنان الانسانى فتتمده بالحياة الحيوانية والحياة العقلية ، فإذا أصبح غير صالح للبقاء ، خرجت منه الى عالم الأرواح المجردة ، وتركته لعوامل الطبيعة تحلله وتحيله الى أصله الترابى ، وهو ما نقول به الأديان وأكثر المذاهب الفلسفية .

والعلماء الذين كان لهم الفضل فى الاهتمام الى هذه الخصائص الروحية ، لم يقفوا عند الحد الذى ذكرناه فى إخراج القوة المحركة والقوة الحساسة من الجسم بعيدا عنه ، وحرمانه منهما ، ولسكنهم دأبوا من طريق التنويم على العمل فى هذا السبيل ، حتى تم لهم إخراج الروح من الجسد ، وإيقاع الجسم فى موت ظاهرى يقف معه قلبه وتنفسه ، ولولا أن الروح تكون وهو فى تلك الحالة متصلة به بواسطة خيط نورانى ، لما عادت إليه الحياة ثانية .

وقد حقق العلماء مسألة خروج الروح هذه بأدلة محسوسة ، منها تصوير الروح فى الظلام ، بوضع المنوم فى حجرة مظلمة ، فتظهر روحه على مثاله بواسطة الأنوار التى تشع منها وتؤثر على الزجاجات الفوتوغرافية الحساسة ، فان المادة النثرانية المعطية لتلك الزجاجات تتأثر بما لا تتأثر به العين البشرية فى الظلام الحالك . وسنلم بتفصيل هذا كله فى هذا الباب فى الأعداد المقبلة ، لأنه من الأدلة المحسوسة التى لا يمكن المكابرة فيها على وجود الروح مستقلة عن الجسد . ولو قصرنا فى إيتاء حفضة الدين بهذه الأدلة ، فبأى سلاح يقابلون مزاعم الماديين الذين يصيحون بهم قائلين : هل عندكم من دليل مبنى على التجارب العلمية يثبت أن للروح وجودا مستقلا عن الجسم ، فإن لم يكن عندكم ذلك الدليل فكيف تسوغون لأنفسكم وصفنا بأننا

نقد النثر

- ١ -

في سنة ١٩٣٣ م أخرجت لجنة النشر بالجامعة المصرية هذا الكتاب مطبوعا ، بعد أن أحضرت صورته من أسبانيا في خريف سنة ١٩٢٩ ، وهي صورة النسخة الأصلية المخطوطة المحفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٢٤٣ ، والتي كتبت بالخط المغربي ، وإن لم يذكر بها تاريخ كتابتها ، وإن كان المظنون أنها كتبت في القرن السابع الهجري ، وقد ذكر على الورقة الأولى من هذا المخطوط أنه صار إلى ملك أمير المؤمنين عبد الله الحسني صاحب مراکش ، وذلك في القرن العاشر الهجري ، ويظهر أنها نقلت عن النسخة التي جلبت من المشرق إلى الأندلس في أو آخر القرن الرابع ، على عهد الحكم المستنصر الذي كان مغرما بجمع الكتب القيمة ، وهو القرن الذي ترجع أنها ألقت فيه كما سنبين بعد .

وقبل أن نتحدث عن قيمة الكتاب الفنية والأدبية ، وعما انتهت إليه دراستنا مع أستاذنا الكبير الشيخ « محمد عرفه » في شأن مؤلف الكتاب والرد على أساتذة الجامعة المصرية فيما زعموه ، نحب أن نعرض الكتاب عرضا عاما فيما تناوله من مختلف الموضوعات والأغراض ، لنضع أمام القارئ صورة تقرب إليه ما سنتناوله من دراسة ونقد وتحليل : فأول ما يطالعك من الكتاب مقدمة يذكر فيها الكاتب الظروف التي حدثت به إلى وضع كتابه ، وأنه قصد به تدارك ما فات الجاحظ في « بيانه وتبيينه » من تنسيق أقسام البيان ، وتنظيم أبوابه ، وترتيب أصوله ، وتبويب فصوله ، على وجه مختصر يجمع ما تناثر ، ويحصر ما تفرق .

ثم يتحدث بعد ذلك حديثا تمهيدا عن العقل ومزاياه ، واختصاص الانسان به تكريمة من الله ، وتمييزه عن سائر الحيوان ، ويقسمه قسمين : موهوب ، ومكسوب ، فالموهوب ما جعله الله في جبلة خلقه كما قال : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » ، والمكسوب ما أفاده الانسان بالتجربة والعبر والأدب والنظر ، وهو الذي ندب إليه الله عز وجل في قوله : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » . ويذكر أن القدماء شبهوا العقل الموهوب بالبدن ، والمكسوب بالغذاء ، ويسترسل في ذكر الآيات والأحاديث شواهد على ما يقرر .

ثم يخلص من ذلك كله إلى أن دليل العقل وترجمانه ومظهره إنما يتجلى في البيان ، ويفرد للبيان فصلا يأتي فيه على أقسام أربعة : فبيان الأشياء بذواتها كما في آثار الله التي تنطق عن

فصل المؤلف في الجدل

بحث في دراسة فصائل الدم الأدمى
وطرق تطبيقها في الطب الشرعى

توجد في الأمم الأوروبية حكومات حرمت قتل القاتل واستبدلت السجن الانفرادى المطلق بهذه العقوبة ، وهو أشد من القتل لأن المحكوم عليه يلبث مدى حياته في ناحية منعزلة لا يسمع صوتا ولا يرى أحدا ، ويلقى إليه الأكل والماء من وراء حجاب ، ويظل على تلك الحالة حتى يموت ، وقد فضل كثير من القتلة القصاص على هذه العقوبة فاحتالوا على إزهاق أنفسهم . وكان من الأدلة التي اعتمد عليها هؤلاء المشترون أن بعض المتهمين قد نفذت عليهم العقوبة وظهرت براءتهم فيما بعد ، فلما كشف العلامة لندشتينر وجود فصائل مختلفة من الدم ، وأن صفات هذه الفصائل تبقى فيها حتى بعد أن يجف الدم ، زادت أدلة الاتهام قوة إذا .

ولكن خصوم الحكم بالقتل أضعفوا هذه الحجة بحادثة وقعت وهي أن رجلا كان يصطاد في غابة ، فسمع صوت عيار نارى فخشى أن ينهم بأنه هو الذى أطلقه فأخذ يعدو ليخرج من الغابة ، واتفق أن عثر بحجة القتل فسقط عليه وتلوث ثيابه بدمه ، فزاد هلمه ، واشتد في عدوه ، فبصر به حارس الغابة ، وكان يتحرى أن يقبض على مطلق العيار النارى ، فاستوقفه وقاده الى حيث حقق معه ، فدلّت جميع القرائن وخاصة تلوث ثيابه بالدم على أنه القاتل فقتل ، ثم ظهرت براءته بعد مدة واعترف الجانى بحريته .

على أن لكشف فصائل الدم وبيان مميزات كل فصيلة فوائد تطبيقية أخرى على جانب كبير من القيمة . وهل من فيصل في المسألة الآتية غير هذا الاكتشاف ؟ اتفق أن وضعت امرأتان في مستشفى الاحسان بباريس غلامين ، فأمرعت الممرضات لأخذ الطفلين لغسلهما ولغهما ، فاختلطا ولم تتبين الأمان أيهما فلذة كبدها ، فكان ذلك مصدرهم كبير لها . فلو كان هذا الاكتشاف موجودا إذ ذاك لاهتمتا الى ابنيهما على وجه التحقيق .

وقد تدعى بعض النسوة أنها حامل من زوجها الثرى ، وبعد مضي أشهر الحمل تؤتى بلقبط فتدعى أنها وضعت . ويطعن أهل الرجل في دعوى الزوجة ، فهذا الاكتشاف يأتى بالحكم الفصل في هذه القضية .

نذكر هذا في مناسبة كتاب بالعنوان المتقدم أهدانا إياه حضرة الدكتور الفاضل داود متى مدرس الطب الشرعى بكلية الطب المصرية . وقد فصل فيه فصائل الدم ومميزاتها ، وكيفية التمييز بينها ، وهو مؤلف قيم لم يترك شاردة فيما يتعلق بهذا الموضوع إلا فصلها في أسلوب يوجب الإعجاب بمقدرته الفنية .

at the present time. People, they say, are not expected to revert to religion in a time at which science alone prevails. Why should we, then, try to arouse man's dormant religious emotion while we endeavour to free ourselves of all prejudice ?

The impracticability of this argument is obvious, for a serious investigation into the causes of the rise of a nation should not overlook an inquiry into its religion. Investigation should encompass its past and its present, tracing its stages of development. A nation, in this respect, is like an individual : his present is influenced by his past, where his gifts, his sources of power, his leanings could all be traced. There is no pedagogical means of moulding an individual anew or of creating in him a fresh mode of behaviour. An individual is what he was in his infancy, childhood etc. He is what he has inherited from his parents and family. He is what he has acquired from his environment.

Let us now refer to one more allegation. It cannot be denied that several Moslem countries have shown their incapacity to go along the road of modern progress. It cannot be denied that they have seemed to be beyond all cure. In those countries where new ideas have been acquired, they produced unsatisfactory results. But this is no proof that Moslem countries are incapable of progress or that Islam stands in the way of their advancement, for Islam, indeed, has given the world the impetus which caused advancement in all branches of knowledge. The reason why Eastern countries do not digest modern ideas is due to the fact that the so-called reformers try to create these countries anew without regard to their past wherein lie their sources of power.

Thus we try in these articles to look into the past history of the Moslem countries and trace their rise and fall with the intention of revealing their latent power.

animate primary cells which possess characteristic qualities, behave collectively with strict conformity to the general system of that living body, and cooperate in giving it generic and specific qualities, every human group is built up of primary cells, which are the individuals forming that group, each having his own life, possessing characteristic qualities and obeying with others the disciplines governing, and imparting unity to, that group. Again, inasmuch as the life of living bodies begins in a nucleus and spreading itself by forming fresh cells which multiply until maturity is reached, each social group forms round a nucleus, that is, one person destined to be its founder. When it reaches maturity it begins to function.

In a like manner the Moslem Nation began its life. Muhammad was the nucleus round which similar other cells were formed creating a small group which became, in due course, a full-grown community. But Muhammad was guided by the Koran throughout all he did for Islam, and that is why we said at the outset that both should be studied together.

To study the subject in detail and state its multitudinous influences on every branch of life throughout the centuries is indeed an intricate task, as we have said above. Yet we shall endeavour to undertake it, the subject being very rich in literature that treats of it.

The advent of Islam, as will be shown later in some detail, caused a great revolution, unequalled in all history. Out of fighting factions emerged a new nation steeped in social progress, and in the span of a few years the map of the world had been prodigiously changed, marking a new epoch of world-wide progress.

We invite those who think that we overrate the influence of the Koran and of Muhammad to review the status of the Arab nation before and after Islam. They will be greatly amazed by the magnitude of the speed with which the change took place. Arabia was composed of disagreeing tribes mainly engaged in fighting and glorifying nothing more than war and vendetta. A traveller through Arabia, if travelling was possible, would have seen practically nothing but the glister of swords and the glitter of spears, and would have heard nothing but the clang of the sabre. People were lacking in belief. There was no religion to control them and no philosophy to tame their wild instincts. Then came a total change with the advent of Islam. Unity was achieved. The same ignorant tribes of the past who loved nothing save material things now took religion to heart. They built mosques, listened submissively to the recital of the Koran and observed its injunctions.

But the significance of that rapid change is yet emphasized by the fact that Arabia was before Islam an isolated nation devoid of both civilization and culture.

Something more should be considered. Writers of the materialistic school disapprove of the importance we attach to the study of religion alleging that religion has become an antiquated subject of no practical use

ISLAM *

Is a Universal Everlasting Religion

INTRODUCTION

The great interest which our previous articles under the above title had aroused in Islamic countries, encouraged us to continue our endeavour to approach the subject, this time, from its two main inlets, namely, the Koran which is the source of Islam, and socondly Muhammad who is the apostle to whom it had been revealed after a cessation of apostles. Such an endeavour is not, indeed, a facile task if the subject be treated in the scientific manner which is gaeatly appreciated by present-day readers, whose minds rebel against anything not compatible with philosophy and science.

To guard Islam from being misunderstood or misrepresented by those who fall under the spell of philosophy and science, we go ahead relying only upon Allah, asking Him to provide us with guidance to succeed in our momentous pursuit.

« وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَيُضِلَّهُ يُضِلُّهُ مِنْ نُورٍ »

(سورة النور ٤٠)

"And to whomsoever Allah does not give light, he has no light." ⁽¹⁾
For He promised us that.

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ .
(سورة الضكبوت ٦٩)

"And as for those who strive hard for Us, We will most certainly guide them in Our ways, and Allah is most surely with the doers of good." ⁽²⁾

Let us then proceed and may we be helped by the Almighty :

To try to trace the influence of the Koran in the building up of Islamic countries and to understand the nature of the factors, visible and invisible, which made of these countries a living, growing whole, one is required to study collectively two main questions, namely, the Koran and Muhammad, for the Koran shaped Muhammad and Muhammad shaped the Moslem world — the former being the scheming mind, the latter the executive will.

But as we have chosen to follow the rules of the scientific method, it would be relevent here to state that sociology takes notice of the analogy that exists, in all respects, between the building up of human groups and the building up of living bodies. Inasmuch as any living body is built up of

* Translated from M. Farid Wagdi's work of the same title by A. Shoukry Top-Sakal.

(1) "The Light" 40.

(2) "The Spider" 60.